

الْكُوَّزُ لُوسْقُ الْفَرْقَانِي

# شَفَافُ الدَّاعِيَةِ

الناشر  
مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين  
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة العاشرة

١٤١٦ - ١٩٩٦ م

جميع الحقوق محفوظة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُعْتَدِّمَة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلُ لَهُ ، وَمِنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ .  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ  
وَرَسُولَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمِنْ دُعَاءِ بَدْعَوْتِهِ ، وَاهْنَدَى  
بِهِدِيهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدٍ .. فَإِنَّ الدُّعَوَةَ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - هِيَ مَهْمَةُ الرَّسُولِ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ  
خَيْرُ اللَّهِ مِنْ عَبَادِهِ ، وَسَفَرَاؤُهُ إِلَى خَلْقِهِ ، وَهِيَ مَهْمَةُ خَلْفَاءِ الرَّسُولِ وَوَرَثَتْهُمْ مِنْ  
الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، وَالرَّبَانِيِّينَ الصَّادِقِينَ - وَهِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ  
تَعَالَى ، لَأَنَّ ثُمُرَتْهَا هُدَايَةُ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ ، وَتَحْبِيبُهُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَتَنْفِيرُهُمْ مِنْ  
الْبَاطِلِ وَالْشَّرِّ ، وَإِحْرَاجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ : « وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِنْ دُعَا  
إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » <sup>(١)</sup> .

وَالدُّعَوَةُ إِلَى اللَّهِ هِيَ الدُّعَوَةُ إِلَى دِينِهِ ، وَاتِّبَاعُ هَدَاهُ ، وَتَحْكِيمُ مِنْهُجِهِ فِي  
الْأَرْضِ ، وَإِفْرَادِهِ - تَعَالَى - بِالْعِبَادَةِ وَالْاسْتِعْنَانَةِ وَالطَّاعَةِ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ  
الْطَّوَاغِيْتِ الَّتِي تَطَاعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَإِحْقَاقِ مَا أَحْقَقَ اللَّهُ ، وَإِبْطَالِ مَا أَبْطَلَ ،  
وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَبِعَبَارَةِ مُوجَّزَةٍ :  
الدُّعَوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ خَالِصًا مَتَكَامِلًا ، غَيْرُ مَشْوُبٍ وَلَا مَجْزَأًا . وَمِثْلُ هَذِهِ الدُّعَوَةِ إِلَى  
هَذِهِ الْمَعْانِي لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيْنِ الَّذِي يَقْابِلُ بِالْإِغْضَاءِ وَالسُّكُوتِ ، أَوِ الْمَوْافِقةِ  
وَالْقَبْوِلِ ، وَكَبُّفْ تَقْلِيلُ هَذِهِ الدُّعَوَةِ الْعُقُولُ الْجَامِدَةُ أَوِ الْقُلُوبُ الْمَرِيْضَةُ ، أَوِ الْقُوَى  
الْمُتَسْلِطَةُ ، أَوِ الْفَئَاتُ الَّتِي أَضْلَلَهَا الْهَوَى أَوْ أَغْرَقَهَا حُبُّ الدُّنْيَا ؟ لَهُذَا كَانَ لَابْدَ هَذِهِ  
الدُّعَوَةِ الْعَظِيمَةِ السَّامِلَةِ مِنْ دُعَاءِ أَقْوَيَاءِ ، يَنْتَسِبُونَ مَعَ عَطْمَتِهَا وَشَمْوَهَا ،  
فَادْرِبُنَّ عَلَى أَنْ يَمْدُوا أَنْسُعَهُ ضَيَّقَاهَا فِي أَنْفُسِ النَّاسِ وَعَقُولِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ بَعْدَ أَنْ

(١) فَصْلَتْ . ٣٣

تشرق بها جوانحهم هم ، و تستضيء بها حياتهم . إن هذا الداعية المنشود هو القوة المحركة « المотор » أو « الدينامو » لعملية الدعوة وحركة سيرها .

إن المشغلي بالتربيه والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة : إن المعلم هو العمود الفقري في عملية التربية ، وهو الذي ينفع فيها الروح ، ويجرى في عروقها دم الحياة مع أن في مجال التعليم والتربية عوامل شني ، ومؤثرات أخرى كثيرة ، من المنهج إلى الكتاب ، إلى الإداره ، إلى الجو المدرسي ، إلى التوجيه أو التفتیش ، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بحسب متفاوتة . ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم .

فماذا يقول المشغلون بالدعوة والإرتاد في شأن الداعية ومبلغ أثره ، وهو العامل الفذ ، الذي ينفرد بالتأثير والتوجيه في عملية الدعوة ؟ ؟ إذ لا يشاركه في ذلك - عادة - منهج موضوع ، ولا كتاب مقرر ، ولا جو ولا إداره ، ولا توجيه .

فالداعية وحده هو - في غالب الأمر - الإداره والتوجيه والمنهج والكتاب والمعلم وعليه وحده يقع عبء هذا كله .

وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاه ، وإعدادهم الإعداد المتكامل ، أمراً بالغ الأهمية ، وإلا أصيي كل مشروعات الدعوه بالخيبة والإخفاق ، في الداخل والخارج ، لأن شرطها الأول لم يتحقق وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة .

ومن هنا كان لابد للداعية الذي يريد - أو نريد له - أن يتصر في معركته على الجهل والهوى والسلط والفساد ، أن يتسلح بأسلحة شتى لازمة له في الدفاع والهجوم .

وأول هذه الأسلحة - ولا ريب - سلاح الإيمان - فبدونه يبطل كل سلاح وتفشل كل ذخيرة ، وليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

وثان هذه الأسلحة هو : الأخلاق ، وهي من لوازم الإيمان . الحق وثماره ، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً .

وقد وصف الله سيد الدعاه من خلقه فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » <sup>(٢)</sup> ومخاطبه بقوله : « فبئرا رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك » <sup>(٣)</sup> .

---

(٣) آل عمران . ١٥٩

(٢) القلم : ٤

وتالث هذه الأسلحة هو : العلم أو الثقافة ، فهذه هي العدة الفكرية للداعية بجوار العدة الروحية والأخلاقية . والداعية عطاء وإنفاق ، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة ، كيف يعطي غيره ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ومن لم يملك النصاب كيف يزكي ؟ .

وتحديثنا في هذا البحث عن هذا الجانب خاصة : الجانب الفكري أو الثقافي المطلوب للداعية المسلم . كيف يعد الداعية نفسه . أو كيف نعد نحن الإعداد الثقافي المنشود ؟ وبعبارة أخرى : ما الثقافة الالزامية للداعية إن أردنا أن ننشئ مدرسة للدعاة ، أو كلية للدعاة ، أو أراد أحدنا أن يكون من نفسه داعية قادراً على التوجيه والتأثير ؟

إن الجواب عن هذا السؤال هو موضوع هذا البحث الذي أعددته في الأصل للمؤتمر العالمي الأول ، لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، الذي دعت إليه الجامعة الإسلامية بالمدينة المaura في صفر ١٣٩٧هـ . وقد كنت أرده مختصراً فطال بالرغم مني ، ولعل في ذلك الخير ، فالموضوع تتطلبه الحاجة اليوم ، وبخاصة أن أكثر من كلية للدعاة أنشئت وتشاء في عالمنا الإسلامي .

ولقد تبين لي أن الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي :

- ١ - الثقافة الإسلامية .
- ٢ - الثقافة التاريخية .
- ٣ - الثقافة الأدبية واللغوية .
- ٤ - الثقافة الإنسانية .
- ٥ - الثقافة العلمية .
- ٦ - الثقافة الواقعية .

والمطلوب من الداعية الناجح أن يتمثل هذه الثقافات ويهضمها ، ويكون منها مزيجاً جديداً طيباً نافعاً أشبه شيء بالحلة التي تأكل من كل الثمرات ، سالكة سبل رها ذللاً ، لخرج منها بعد ذلك شراباً مختلفاً لوانه ، فيه شفاء للناس ، كما أن فيه آية لقوم يفكرون .

وسأتحدث عن كل واحدة من هذه الثقافات الست بما يفتح الله به ، ويتسع له المقام . وبالله التوفيق .

الدوحة ١٨/١٢/١٣٩٦هـ .

د . يوسف القرضاوى

\* \* \*

## الثقافة الإسلامية

إن أول ما يلزم الداعية المسلم من عدة فكرية ، أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول ، باستقلالية الفروع ، تؤكِّد كلها كل حين بإذن ربها .

ونعني بالثقافة الإسلامية : الثقافة التي محورها الإسلام : مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به ، المتبثقة عنه . وهذا أمر منطقى ، فإن الداعية الذى يدعوا إلى الإسلام ، لابد أن يعرف : ما الإسلام الذى يدعون الناس إليه ؟ .. ولا بد أن تكون هذه المعرفة معرفة يقينية عميقه ، لا سطحية مضطربة . وهذا كان لابد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن ينابيعه المصفاة ، بعيداً عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

وبهذا يكون الداعية على « بينة من ربها »<sup>(١)</sup> وتكون دعوته « على بصيرة » كما أراد الله لرسوله ﷺ ، ومن تبعه واهتدى بهداه « قل هذه سبيل أدعوا إلى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين »<sup>(٢)</sup> .

لابد للداعية إذن أن يقف على أرض صلبة ، من دراسة العلوم الإسلامية دراسة وعي واهتمام وتدوّق . ثم يخرج منها شرابةً مختلفاً لألوانه ، فيه شفاء للناس .

\* \* \*

## القرآن الكريم وتفسيره

القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام - وبالتالي للثقافة الإسلامية . كل تعاليم الإسلام يجب أن ترتع في أصولها إلى القرآن : العقائد والمفاهيم والقيم والموارين ، والعبادات والشعائر والأخلاق والأداب ، والقوانين والشريائع . كل هذه قد وضع القرآن أساسها ، وأرسى دعائمها ، وجاءت السنة فبينت وفصلت ، وأقامت عليها بنياناً شاملاً لا تزال منه الليل والآيات .

وقد حوى القرآن من حقائق العيب ، وحقائق النفس ، وحقائق الحياة ، وحقائق الاجتماع الإنساني ، وبين من سن الله تعالى ، ومن آياته في الأنفس والأفاق ما لا يستغنى بشر عن معرفته ، والاهتداء به

وقد صاغ ذلك كله في أسلوب معجز هو « بور من الكلام أو كلام من النور » لا يوصف إلا بأنه « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »<sup>(١)</sup> .

وصفه منزله بأنه « نور » والنور من طبيعته أن يضيئ ويهدى « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً »<sup>(٢)</sup> .

كما وصفه بأنه روح ، والروح من طبيعته أن يحرك ويُحيي « وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا »<sup>(٣)</sup> .

وهذا كان شأن المؤمنين المهددين بالقرآن أن يوصعوا بالحياة وبالنورانية معاً . انتصروا على الموت وعلى الظلام جمِيعاً . يقول تعالى : « أَوَ مَنْ كَانَ مِيتاً فَأَحْيَنَا وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يُشَيِّ بِهِ فِي النَّاسِ كَمْنَ مِثْلِهِ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا »<sup>(٤)</sup> .

### ● الداعية مع القرآن :

وينبغي للداعية أن يحفظ من القرآن الكريم قدر ما يستطيع ، بل يحسن بالداعية أن يحفظ القرآن كله ويسنده ، مني تيسرت له أسباب ذلك ، ليكون أقدر على استحضاره والاستشهاد به في كل ماسة ممكّه ، فالقرآن ذخيرة لا تنفد ، ومعين لا ينضب لإمداد الدعاء .

(١) هود: ١

(٢) النساء: ١٧٤

(٣) التّورى: ٥٢

(٤) الانعام: ١٢٢

ومن اللازم - للحافظ وغير الحافظ - دوام التلاوة لكتاب الله بخشوع وتأمل وتدبر ، تنفتح معه أفعال القلوب ، وتنشرح الصدور لما جاء به من الحق ، وتقبس العقول منه أبوار المعرفة ، وتحنن تمار الحقائق .

ودوام هذه التلاوة مع التفهم والتدبر ، يجعل الداعية متمكنًا من استحضار الشواهد القرآنية ، التي يريد أن يؤيد بها فكرته ، وينحها نسبة إلهية .

بل إن مما يلزم الداعية الموفق أن يحس تلاوة القرآن بإتقان وترتيب كما أمر الله ، وأن يدرس من أحكام التجويد ما يصحح به قراءته ، حتى يتلوه بخشوع وتأثير وحزن ، فإن وجد بكاء بكى ، وإن تباكي .

\*\*\*

### ● خصائص القرآن :

وينبغى لمن يريد أن يفهم القرآن ، أن يقرأه وهو يعي خصائصه وعيباته . ويدركها بعقله وقلبه .

#### ١ - كلام الله :

أولى هذه الخصائص : أنه كلام الله حالصاً ، غير مشوب بأوهام البشر ، ولا بأوهام البشر ، ولا بتجريفات البشر ، وانحرافات البشر فهو كله من الله ، مائة في المائة ، من ألفه إلى يائه . ليس بجبريل منه إلا النقل ولا لحمد منه إلا التلقى والحفظ ، تم التبليغ والبيان « وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المترددين بلسان عربي مبين »<sup>(١)</sup> .

ومعنى هذا أنه يحمل في تناييه علم الألوهية وحكمتها ورحمتها وقدرتها . الألوهية المتصفه بكل كمال ، المزهنة عن كل نقص . « قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ، إنه كان غفوراً رحيمًا »<sup>(٢)</sup> .

ولا غرو أن تتصف أخبار هذا الكتاب بالصدق الكامل ، وأحكامه بالعدل المطلق « وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم »<sup>(٣)</sup> .

وكل ما في القرآن من أخبار ومواعظ ، وأوامر ونواه ، وتوجيهات وتشريعات يتحلى فيه الحق كله ، والخير كله ، والجمال كله ، والعدل كله ، والحكمة كلها والرحمة كلها ، والمصلحة كلها ، لأمها كلها صادرة « من لدن حكيم خبير »<sup>(٤)</sup> .

(١) المرقان . ٦

(٥) التسوعاء ١٩٥ - ١٩٢

(٢) هود ١

(٦) الأعمام : ١١٥

«من لدن حكيم عليم»<sup>(٩)</sup> «تنزيل من حكيم حميد»<sup>(١٠)</sup> «تنزيل من الرحمن الرحيم»<sup>(١١)</sup> «تنزيل من رب العالمين»<sup>(١٢)</sup>.

ومن هنا يختتم القرآن كثيراً من آياته التشريعية بمثل هذه المواصل «والله يعلم وأنتم لا تعلمون»<sup>(١٣)</sup> «والله بكل شيء عليم»<sup>(١٤)</sup> «إن الله كان عليها حكيمًا»<sup>(١٥)</sup> «والله عزيز حكيم»<sup>(١٦)</sup> «إن الله عليم حكيم»<sup>(١٧)</sup>.

ومن ثم لا يجوز لخلوق - أيًا كان شأنه - أن يفرض نفسه على كلام الخالق : يفرض جهله مدعياً العلم ، أو يفرض هواء زاعماً التحرر ، أو يفرض نفسه متظاهراً بالكمال ، فكلمات الله هي العليا ، وهي فوق الجهالات والأهواء والأوهام .

## ٢ - التيسير :

والخصيصة الثانية للقرآن هي التيسير ، فهو كتاب يسره منزله سبحانه . يسر تلاوته ، ويسر فهمه ويسر العمل به ملأ أراد ، لا يكلف الإنسان شططاً ، ولا يرهقه من أمره عسراً . قال تعالى : «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر»<sup>(١٨)</sup> «إإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون»<sup>(١٩)</sup> ويستطيع كل إنسان سليم الفطرة - يقرأ القرآن أو يسمعه - أن يفهم منه ، ويتأثر به ويسقى من منه ، بقدر ما يتسع واديه «فسألت أودية بقدرها»<sup>(٢٠)</sup> .

ولهذا كان من أوصاف هذا الكتاب : الإبارة والوضوح .. فهو كتاب «مبين» بل هو «نور مبين» قال تعالى : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين»<sup>(٢١)</sup> « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً»<sup>(٢٢)</sup> .

والنور واضح بين في نفسه ، مبين موضح لغيره ، فكل بصير لابد أن يرى النور ، ولا يستطيع أن يرى شيئاً بغير النور .

وكل هذا يوجب على الداعية أن يعرض القرآن سهلاً ميسراً كما أنزله الله ،

(١٠) فصلت : ٤٢

(٩) السمل : ٦

(١٢) الحاقة : ٤٣

(١١) فصلت : ٢

(١٤) البقرة : ٢٨٢

(١٣) البقرة : ٢١٦

(١٦) المائدة : ٣٨

(١٥) النساء . ١١

(١٨) القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢

(١٧) التوبه : ٢٨

(٢٠) الرعد : ١٧

(١٩) الدخان : ٥٨

(٢٢) النساء . ١٧٤

(٢١) المائدة : ١٥

ولا يضنه في إطار من الألغار والمعميات والنكلفات التي تخرجه عن طبيعته الميسرة ، والميسرة كذلك .

كما ينبغي له إلا يكثر من القيل والقال في بيان معانٍ القرآن ، وألا يغرق - ويُغرق الناس معه - في أقاويل يصرّب بعضها بعضاً ، أو يكرر بعضها بعضاً مع اختلاف الألفاظ ، دون أن يكون وراءها تمرة علمية ، أو يخرج منها برأٍ ناضج محدد .

### ٣ - الإعجاز :

ومن خصائص القرآن : أنه كتاب معجز ، أمر الله رسوله أن يتحدى به المشركون من العرب أن يأتوا بحديث مثله ، أو عشر سور مثله ، أو بسورة مثله ، فغلبوا وانقطعوا ، وسجل القرآن عليهم ذلك في جلاء وصراحة « قل لئن اجتمع الناس والجِنْ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »<sup>(٢٣)</sup> .

فالقرآن - بهذا - هو آلة محمد العظمى ، ومعجزته الخالدة .

كانت آيات الأنبياء السابقين مادية حسية وقية يؤمن بها من عاصرها وشاهدها دون من يأى بهم المكان ، أو تأحر بهم الزمان .

أما القرآن فكان آية عقلية أديبة باوية على مر الدهر . وفي هذا جاء حديث البخاري عنه - بستان - « ما من الأنبياء إلا أتوا على مثله آمن الشر ، ولئنما كان الذي أتوا به وحيًّا أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة » والإعجاز القرآني له أوجه أو جوانب عديدة يتحلى فيها . وأهم هذه الأوجه أو الجوانب التي تهم الداعية خاصة ما يلى :

(أ) الإعجاز البصري : وهو ما يتعلّق ببلاغة القرآن ونظمه وأسلوبه وعباراته وألفاظه ، وهو الذي وجه إليه القدامى همهم وأوسعوا القول فيه ، وأسهّم في ذلك علماء الكلام مثل الباقلانى ، وعلماء البلاغة واللغة مثل عبا القاھر الجرجانى ، وعلماء التفسير مثل الطبرى . وغيرهم .

وقام المُحدّتون فيه بجهد مشكور مثل الرافعى في « إعجاز القرآن » وسيد قطب في « التصوير الفنى في القرآن » و « مشاهد القيمة في القرآن » والدكتور بدوى في « بلاغة القرآن » والدكتور دراز في « النبأ العظيم : نظرات جديدة في

القرآن » و محمد المبارك في « صور أدبية من القرآن » وبنت الشاطئ في « التفسير البصري للقرآن » وغيرهم .

(ب) الإعجاز الموضوعي : ونعني به : أن القرآن قد جمع من صنوف الهدية والحكمة والمعونة الحسنة ، ومن وجوه الاصلاح التوجيهي والتربوي والتشريعي ، ما يسعد البشر أفرادا وأسرأً وجماعات ودول ، في دينهم ودنياهم ، لو أنهم اهتدوا به واتبعوه ، وما يعجز حكماء الأمم ومفكرو الشرق والغرب أن يأتوا بمثله في سموله وتوازنه وعمقه . هذا مع أن الذي ألق به رجل أمنى نشأ في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب .

لهم يهتم الأولون بالتأليف في هذا اللون من ألوان الإعجاز ، وإن أشاروا إليه ، ونبهوا عليه ، ضمن بحوثهم عن الإعجاز .

وفي عصرنا بدأت العقول تتجه إلى تجديد التحدي بالقرآن من ناحية موضوعه ومحنته ، وألف في ذلك العلامة السيد رشيد رضا كتابه « الوحي المحمدي » وكتب العلامة الشيخ محمد أبو زهرة عدة مقالات عنوانها « شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله » .

وألف كثيرون في موضوعات قرآنية شتى ، مثل « القرآن والقتال » و « القرآن والمرأة » للشيخ شلتوت ، و « الإنسان في القرآن الكريم » و « المرأة في القرآن الكريم » للعقاد . « التربية في القرآن » لمحمد شديد . . . « دستور الأخلاق في القرآن » للدكتور دراز ، « الدستور القرآني » لمحمد عزت دروزة . . . وغيرها .

(ج) الإعجاز العلمي : ونعني به ما يتعلق بإشارة القرآن في كثير من آياته إلى حقائق علمية كشف عنها العلم الحديث ووافقت أحدث ما انتهى إليه الكشف العلمي في هذا العصر . مع أنها كانت مجهولة في عصر النبوة ، وما بعده لقرون عديدة .

ومثل هذا لا يتصور أن يصدر من بشر ، لا يدرى ماذا يكسب غداً ، فضلاً عما يكسب غيره ، وما تكتشه البشرية بعد قرون وقرون . إنما يتصور أن يصدر هذا من خالق الكون ومديره ، فهو القادر على أن يودع كتابه من أسرار الوجود ما لا يعلمه غيره ، وأن يصوغ ذلك في أسلوب يتسع لإدراك السابقين ، وفهم اللاحقين . وقد عنى كثيرون من المعاصرين بهذا اللون من الإعجاز ، وبخاصة المتخصصون في العلوم الحديثة ، مثل الأساندة : د. محمد أحمد الغمراوى .

د. محمد جمال الدين المندى ، عبد الرزاق نوفل ، وقبلهم الشيخ طنطاوى جوهري ، وغلا بعضهم في ذلك إلى حد التكليف والمجافاة للفظ القرآن وسياقه ، وعارضهم آخرون على طول الخط ، وتوسط فريق ثالث . وخير الأمور الوسط .

وسنعود إلى ذلك فيما بعد .

#### ٤ - الخلود :

ومن خصائص القرآن : أنه كتاب الخلود - ليس كتاب جيل ، ولا كتاب عصر ، ولا كتاب أجيال أو أعصار محدودة ، بل هو الكتاب الخاتم للرسالة الخاتمة ، ولهذا تكفل الله بحفظه فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له لحافظون » <sup>(٢٤)</sup> « وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » <sup>(٢٥)</sup> .

ومن دلائل ذلك أن أربعة عشر قرنا من الزمن مرت على نزول هذا القرآن ولم يزل كما أنزله الله ، وكما بلغه محمد صلوات الله عليه ، وكما تلقاه أصحابه ، ومن بعدهم جيلاً إثر جيل ، محفوظاً في الصدور ، متلوأً بالألسنة ، مكتوباً في المصاحف ، يستظره عشرات الآلوف من أبناء المسلمين ، حتى الصبيان منهم ، بل حتى الأعاجم الذين لا يعرفون لغته .

وعلى الداعية أن يقرأ القرآن بهذه الروح ، وهذه الفكرة : إنه كتاب الزمن كله ، فلا ينبغي أن يحمل على ثقافة عصر خاص ، أو أفكار جيل معين ، فإن الثقافات تتطور ، والأفكار تتغير ، والعصور والأجيال تذهب ، ويبقى كتاب الله كما أنزله الله .

#### ٥ - الشمول :

ومن خصائص القرآن كذلك : الشمول ، فكما أنه كتاب الزمن كله هو كتاب الدين كله : جمع أصول الهدایة الإلهیة ، والتوجیه الربانی ، في العقائد والشعائر والأداب والأخلاق ، كما جمع أصول التشريع الإلهی في العبادات والمعاملات وشئون الأسرة وعلاقات المجتمع الصغير والكبير ، المحل والدولى حتى أن أطول آية فيه إنما أنزلت لتنظيم شأننا من شئون الحياة الاجتماعية ، وهو كتابة الدين .

وإلى جانب هذا هو كتاب الإنسانية كلها ، وكتاب الحياة كلها . ولهذا « جعله الله للناس » و « للعاملين » كما قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس »<sup>(٢٦)</sup> وقال سبحانه : « إن هو إلا ذكر للعاملين »<sup>(٢٧)</sup> . فليس هو كتاباً جنس دون جنس ، ولا لوطن دون وطن ، ولا لطائفة من الناس دون أخرى .

ليس للعقلين دون العاطفيين ، ولا العكس ، وليس للروحين دون الماديين ولا العكس . وليس للحكام دون المحكومين ، ولا العكس ، وليس للأغنياء دون الفقراء ولا للفقراء دون الأغنياء ، إنه كتاب الجميع ، ودستور الجميع . فالقرآن دستور شامل ، وصفه متزلاً - وهو رب كل شيء - بأنه تبيان لكل شيء فقد خاطب الرسول المتزلا عليه بقوله : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »<sup>(٢٨)</sup> .

وقد قال الخليفة الأول : لو ضاع مني عقال يغير لوجدته في كتاب الله . فلم ينزله الله بياناً للعقيدة أو للعبادة فقط ، فيكون كتاباً في الالاهوت . ولا بياناً للفضائل والأداب فقط ، فيضاف إلى كتب الأخلاق ، ولا بياناً للشريع الأنظمة فحسب ، فيكون كتاباً في القانون ، ولكن كتاب يضم ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، في نسق فريد ونظم نديع .

اقرأ هاتين الآيتين في سورة البقرة :

« وإذا طلقت النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعرف أو سرحوهن بمعرف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتذروا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزواً ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم . وإذا طلقت النساء فبلغن أجلهن فلا تعصلوهن أن ينكحن أزواجاً هن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكي لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون »<sup>(٢٩)</sup> .

ترى كيف يصنف هاتين الآيتين ؟  
إيهما تنضممنا تشعرياً للأسرة ، وتنضممنا كذلك تربيه وتوجيهات أخلاقيه

٢٧) التكوير : ٢٧  
٢٩) البقرة . ٢٣١ - ٢٣٢

١٨٥ ) البقرة . ٢٦  
٨٩ ) البحل . ٢٨

وإرشادات دينية ، وتذكيراً بالله واليوم الآخر ، وتقرران علم الله بكل شيء على حين لا يعلم البشر ..

فهل تُحسب هاتان الآياتان في التشريع أم في التربية أم في العقيدة أم في الآداب ؟ - الحقيقة أنها في ذلك كله في وقت واحد .

ومن شمول القرآن : أنه لا يخاطب العقل وحده ولا القلب وحده ، بل يخاطب الكيان الإنساني كله ، فيقنع العقل ، ويحرك القلب في وقت واحد كذلك . فإذا قرأ الإنسان أو سمع مثل هذه الآيات : « يا أيها الإنسان ما غررك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ربكك »<sup>(٣٠)</sup> . يجدها تخاطب الإنسان كله : عقله ووجوداته وروحه ، فلا يكتفى بخطاب القلب والضمير وحده ، كما هو المعهود في كتب الدين واللاهوت قبل القرآن ، ولا يخاطب الفكر والعقل وحده كما هو شأن كتب الفلسفة قديماً وحديثاً . إنما هو يخاطب الذات الإنسانية بكل مقوماتها وخصائصها .

يقول المرحوم الأستاذ عباس العقاد :

« يخاطب الإسلام العقل ، ولا يقصر خطابه على الضمير أو الوجودان . وفي حكمه أن النظر بالعقل هو طريق الضمير إلى الحقيقة ، وأن التفكير بباب من أبواب الهدایة التي يتحقق بها الإيمان : « قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا الله مثنى وفرادى ثم تتفكروا »<sup>(٣١)</sup> « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون »<sup>(٣٢)</sup> .

« وما كان الشمول في العقيدة ليذهب مذهبأً أبعد وأوسع من خطاب الإنسان ، روحأً وجسداً ، وعقلاً وضميراً ، بغير بخس ولا إفراط في ملکة من هذه الملکات »<sup>(٣٣)</sup> .

وهو لا يخاطب صنفاً واحداً من البشر له اتجاه عقلي أو نفسي معين ، مغفلأً من عدائه من الأصناف ذوى الاتجاهات المتعددة .

كلا ، إنه يخاطب كل الأصناف ، ويشيع كل الاتجاهات السوية .  
 (أ) إن طالب الحقيقة العقلية يجد في القرآن ما يرضي منطقه ، ويأخذ بلبه إذا سمعه يصبح بالعقل أن ينظر ويفكر ، ويهيب به أن يرفض النظر والخرص واتباع الهوى والتقليد ، وأن يعتمد على البرهان وحده .

(٣٠) الانفطار : ٨ - ٦ (٣١) سبا : ٤٦

(٣٢) القراءة ٢١٩ (٣٣) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٤ . أولى ،

ويكفى أن مشتقات العقل ، مثل : « يعقلون » و « تعقلون » ذكرت في القرآن ٥٨ تمانية وخمسين مرة ، وذكرت مشتقات الفكر ١٧ سبع عشرة مرة ، وذكرت كلمة « الألباب » أى العقول ١٦ ست عشرة مرة ..

وهذا غير الآيات الكثيرة التي اشتملت على كلمات ومشتقات آخر مثل : النظر والاعتبار والتذير والحججة والبرهان والنفي ونحو ذلك ، مما يبحث عنه طلاس الحقائق العقلية ، فلا يجدونه في كتاب دبني غير القرآن .

(ب) والباحث عن الحقيقة الروحية ، يجد في القرآن ما يرضي دوقه ، ويغذى وجدانه ، ويشبع نهمه وتطلعاته في آفاق الروح ، في مثل قصة موسى والعبد الصالح الذي قال الله فيه : « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا » <sup>(٣٤)</sup> .

(ج) والمحريص على القيم الأخلاقية يجد في القرآن ضالته وطلته . وإذا كان موضوع الأخلاق هو « الخير » فالقرآن قد دل على « الخير » كما هدى إلى « الحق » وقد جعل فعل الخير إحدى شعب تلات لهمة المسلم « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » <sup>(٣٥)</sup> ولكنه لم يكتف من المسلم بفعل الخير ، بل طلب أن يدعوه إليه ويدل عليه « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » <sup>(٣٦)</sup> .

والأخلاق في القرآن تتحل مساحة عريضة لا يتسع المقام للحديث عنها ، ونوصي بالرجوع إلى « دستور الأخلاق في القرآن » للعلامة الدكتور محمد عبد الله دراز رحمة الله .

(د) وعاشق القيم الجمالية يجد في القرآن ما ينمى حاسته الحمالية ويعزى شعوره الفنى ، وذلك بما لفت إليه القرآن الأنظار من الاستمتاع بجمال الطبيعة « وزينتها للناظرين » <sup>(٣٧)</sup> « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » <sup>(٣٨)</sup> وجمال الربات « وأنبتنا فيها من كل زوج ببيج » <sup>(٣٩)</sup> « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » <sup>(٤٠)</sup> ، وجمال الحيوانات « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » <sup>(٤١)</sup> وجمال الإنسان

(٣٤) الكهف : ٦٥

(٣٦) آل عمران : ١٠٤

(٣٨) الملك : ٥

(٤٠) النحل : ٦٠

(٣٥) الحج : ٧٧

(٣٧) الحجر : ١٦

(٣٩) سورة ق : ٧

(٤١) النحل : ٦

« وصُورُكُمْ فَأَحْسِنْ صُورَكُمْ »<sup>(٤٢)</sup> وجمال المخلوقات كلها « صُنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ »<sup>(٤٣)</sup> .

ووراء ذلك كله ما احتواه أسلوب القرآن ذاته من جمال معجز في شكله ومضمونه .

\* \* \*

### ● تنبیهات للداعية في المجال القرآني :

وأود أن أنبه الداعية الذي يريد أن يعيش مع القرآن ، ليأخذ منه زاداً لقلبه ، ويقبس منه نوراً لعقله . ويستمد منه رياً لروحه ، تم يمد الآخرين بعد ذلك من فيض هذا الرى ، وذاك النور ، وذلك الزاد - إلى عدة أمور :

### ● جمع الآيات في الموضوع الواحد وتصنيفها :

فعلى الداعية إذا أراد أن يتحدث في موضوع ما - محاضراً أو مدرساً أو خطيباً أو كاتباً - أن يجمع الآيات المتعلقة بموضوعه ، ويعمل على تصنيفها بما يلائم الغرض ، ويوضح نظرة القرآن إلى الموضوع .

وينبغي للداعية المتبصر هنا أن ينظر نظرتين :

إحداهما : تتعلق بالألفاظ القرآنية المتعلقة بموضوعه ، وهذه يفيد منها - إلى حد كبير - مراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ولا سيما من لم يكن مستظهراً القرآن .

والثانية : تتعلق بالمعاني المتصلة بموضوعه ، وهذه تحتاج إلى بصيرة وفطنة وحسن إدراك لما له صلة بالموضوع ، وإن لم يرد نفس اللفظ والعبارة .

والمهم في هذا وذاك هو حسن التصنيف والتقطيع الذي يوضح المعالم ، ويبيرز المقومات والخصائص ، ويبين الأهداف والآثار .  
لأنأخذ مثلاً لذلك . فبالمثال يتضح المقال .

إذا أردنا الحديث عن القرآن والعلم ، فإننا نجد أنفسنا أمام حشد هائل من الآيات يبلغ المئات . فلهذا نكتفى بأخذ بعضها وتصنيفها أو وضع عناوين لها كما يلى :

● أولوا العلم قرناء الملائكة

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمها بالقسط »<sup>(٤٤)</sup> فدأ سبحانه بنفسه وتنى تملائكته وثلث بأولى العلم ، مسنهدا بهم على سرده بالألوهية .

● العلم يرفع أهله عن غيرهم

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »<sup>(٤٥)</sup> « بُرْعَةُ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »<sup>(٤٦)</sup> .

● العلم أساس خشية الله

« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »<sup>(٤٧)</sup> .

● الواجب على الجاهم أن يتبع العالم ولو كان أصغر منه :

« يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَرِيعًا »<sup>(٤٨)</sup> .

● قد يدرك الأدنى من العلم ما لا يدرك الأعلى :

و قصة سليمان حين عزم على معاقبة اهدهد الغائب فجاء يخبره « فقال أحيطت بما لم تحظ به وحيثك من سبأ بنياً يقين »<sup>(٤٩)</sup> .

وفي قصة ابى آدم حيث تعلم الإنسان من العراب :

« فَبَعَثَ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيَرِيهِ كَيْفَ يَوْمَى سُوَاءُ أَخِيهِ ، قَالَ يَا وَيْلَتِي أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأَوْارِى سُوَاءُ أَخِى ، فَأَصْبَحْتَ مِنَ النَّادِمِينَ »<sup>(٥٠)</sup> .

● التعليم يرفع قدر المتعلم ولو كان كلباً :

« يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحْلَى لَهُمْ ، قُلْ أَحْلُّ لَكُمُ الظِّيَافَاتِ وَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مَكْلِبِينَ تَعْلَمُونَ مِمَّا عَلِمْتُكُمْ ، فَكُلُّوا مَا أَمْسَكْنَنَّ عَلَيْكُمْ »<sup>(٥١)</sup> وبهذا امتاز الكلب المعلم على كل كلب آخر .

(٤٤) آل عمران ١٨

(٤٥) الزمر ٩

(٤٦) المجادلة ١١

(٤٧) فاطر ٢٨

(٤٨) مريم ٤٣

(٤٩) النمل ٢٢

(٥٠) المائدة ٣١

(٥١) المائدة ٤

● الأمر بالرجوع إلى أهل العلم .

« فاسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »<sup>(٥٢)</sup> « يا أيها الذين آمنوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول وأولى الأمر منكم »<sup>(٥٣)</sup> .

فسرت « أولوا الأمر » في هذه الآية بالعلماء كما فسرت بالأمراء . « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم »<sup>(٥٤)</sup> . ويترى القرآن إلى أن الخير بالشيء هو القادر على الإنباء بحقيقة دون شطط أو قصور - وذلك في قوله . « ولا ينبعك مثل خبير »<sup>(٥٥)</sup> ومن هنا يجب أن يُسئل الخير دون عره « فاسأله به خبيراً »<sup>(٥٦)</sup> .

● العلم بحر لا ساحل له :  
« وما أوتيت من العلم إلا قليلاً »<sup>(٥٧)</sup>

● الازدياد في العلم مطلوب :  
« وقل رب زدني علماً »<sup>(٥٨)</sup> « وفوق كل ذي علم علیم »<sup>(٥٩)</sup> .

● الأنبياء يطلبون العلم عند من هم دونهم :  
في قصة موسى وفتاه قال تعالى : « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً . قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا »<sup>(٦٠)</sup> وموسى أفضل خلق الله في زمانه بلا نزاع

● الرحلة في طلب العلم :  
« وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ جمجم البحرين أو أمضى حقباً . فلما بلغا جمجم بينهما نسيأ حوتها »<sup>(٦١)</sup> « أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها »<sup>(٦٢)</sup> .

إلى عشرات أخرى من الآيات تتعلق بموضوع العلم يجدها من يعيش مع القرآن .

(٥٣) النساء : ٥٩

(٥٢) النحل : ٤٣

(٥٥) فاطر : ١٤

(٥٤) النساء : ٨٣

(٥٧) الأسراء : ٨٥

(٥٦) الفرقان : ٥٩

(٥٩) يوسف . ٧٦

(٥٨) طه . ١١٤

(٦١) الكهف : ٦١ ، ٦٠

(٦٠) الكهف : ٦٦ ، ٦٥

(٦٢) الحج . ٤٦

ويستطيع الداعية المتمرس المتدبر لكتاب الله أن يخصص لنفسه سجلاً ، أو كشكولاً يدون فيه الموضوعات القرآنية ، وما يتعلّق بها من آيات ، حسبما تهدهه إليه بصيرته ووعيه وسيجد نفسه أمام عشرات ، بل مئات من الموضوعات الحية المدّسّمة .

وعليه بعد جمعها أن يحرص على تصنيفها بقدر ما يفتح الله عليه ، وسيجد عنده بعد زمنٍ دخيرة من القرآن لا تنفذ ، وكثراً من أسرار الحق لا يفني .

\*\*\*

### ● العناية بالقصص القرآني :

وما ينبغي للداعية الالتفات إليه ، والعنابة به : الفصص القرآني ، وما اشتمل عليه من عبر وعظات وأسرار وحكم بالغة .

وطريقة القرآن في سرد قصص الماضين لا تعتمد على ذكر التفصيات ، كذكر أسماء الأشخاص والبلدان والتاريخ ونحوها ، إنما يهتم برؤوس العبر ، ورسم ملامح الشخصيات التاريخية ، والاتجاهات الأحداث ونتائجها : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب » <sup>(٦٣)</sup> .

وعند سرد القصة نجد القرآن الكريم يضمنها كثيراً من الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية ، لتنعذ إلى النفس والعقل عن طريق غير مباشر .

فإذا أردنا أن نعرف مثلاً مكانة العلم في القرآن ، فإننا نستطيع أن نجد ذلك في آيات كثيرة مباشرة كما أسلفنا ، وأن نجده كذلك بصورة واضحة في آيات القصص القرآني ، وإن كانت غير مباشرة . نحد ذلك في أربعة مواضع من القرآن .

الأولى : في قصة آدم حين قال الله للملائكة : « إني جاعل في الأرض خليفة » <sup>(٦٤)</sup> واستغرابهم لذلك في أول الأمر ، ثم تسليمهم لآدم بعد أن أنت الاختبار الإلهي تفوقه العلمي قال . « يا آدم أئبّهم بأسمائهم ، فلما أئبّهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » <sup>(٦٥)</sup> .

وهكذا أشار القرآن إلى أن العلم هو المرشح الأول للإنسان ليقوم بوظيفة الخلافة في الأرض .

الثانية : في قصة يوسف عليه السلام ، وما فيها عن استخدام « التخطيط » في السياسة الاقتصادية والتمويلية للدولة ، كما هو واضح في الخطة الخمس عشرية التي وضعها يوسف عليه السلام ، وطبقها بنجاح ، عاد خيره على أهل مصر والمناطق المجاورة لها ، في حين يظن بعض الناس أن التخطيط ينافي الدين والتوكيل على الله .

الثالثة : في قصة سليمان مع بلقيس ملكة سبا ، حيث استطاع أحد رجال سليمان أن يأتيه بعرشها قبل أن يرتد إليه طرفه بواسطة علم عنده « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » (٦٦) وكان سليمان في الشام وعرض بلقيس في اليمن .

الرابعة : في قصة ذى القرنيين وبنائه السد العظيم من الحديد ، مخلوطاً بالنحاس المذاب ، وهو ما أثبت العلم الحديث أنه يعطى الحديد قوة ومتانة أكبر . « آتوف زبر الحديد ، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى إذا جعله ناراً قال آتوف أفرغ عليه قطراً . فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقياً » (٦٧) .

ومثل ذلك إذا أحبينا أن نتعرف على مكانة الإيمان في نظر القرآن ، فلا ريب أننا سنجد أمامنا عشرات من الآيات الكريمة المباشرة ، تحدثنا عن الإيمان وأثره في حياة الإنسان ، ولكننا نستطيع أن ندرك أثر الإيمان بصورة أقوى وأبلغ إذا نحن تأملنا عدداً من قصص القرآن .

نجد في القرآن قصة الشباب حين يؤمن ، وماذا يصنع به الإيمان ، وذلك في قصة فتية أهل الكهف الذين واجهوا بإيمانهم جمود المنكريين ، وطغيان التجارين : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، إنهم فتية آمنوا برabbهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إله ، لقد قلنا إذن شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ، لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن أظلم من افترى على الله كذباً » (٦٨) .

---

(٦٧) الكهف . ٩٦ ، ٩٧

(٦٦) النمل : ٤٠

(٦٨) الكهف : ١٣ - ١٥

ونجد في القرآن قصة المرأة حين تؤمن ، وإن كانت زوجة لفاجر كفار ، أو مبتكر جبار . وذلك في قصة امرأة فرعون ، التي لم تبال بملك فرعون ، ولم بغرها منه وعداً أو يتها وعداً « وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت رب ابن لى عندك بيتأ في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين »<sup>(٦٩)</sup> .

ونجد في القرآن قصة عوام الناس حين يؤمنون ، وكيف بغيرهم الإيمان وينشئهم خلقاً حديداً ، وبعجز فيهم طاقات نفسية عجيبة كانت دفعه محبوه حتى أبرزها الإيمان ، وذلك في فصه سحرة فرعون ، الذين تبيّن لهم الحق على يد موسى فآمنوا به ، محدثين حسروه فرعون وتهبده « وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال فرعون آمنت به قبل أن آذن لكم ، إن هذا لمكر مكرتوه في المدينة لتخرجوا منها أهلهما ، فسوف نعلمكم . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلببكم أجمعين . قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلماً »<sup>(٧٠)</sup> .

\*\*\*

### ● العناية بالنماذج القرآنية :

وعلى الداعية أن يفي بالنماذج الفرآنية إلى تصور لنا الشخصية الإنسانية في مختلف المجالات والأحوال .

ومن هذه النماذج القرآية أذكر عدة أمثلة :

(أ) نموذج الغنى الشاكر في شخصية سليمان الذي قال عندما سمع كلام النملة وفهم عنها « رب أوزعنى أنأشكر نعمتك التي أنعمت علىّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه » كما قال عندما أحضر له عرش بلقيس « هذا من فضل رب ليبلون أشكراً أم أكفر ، ومن شكر فإما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن رب غنى كريماً » القصة مفصلة في سورة النمل : (٤٤ - ١٦) .

(ب) نموذج الحاكم أو الملك العادل الذي لم يلده سعة ملكه عن عباده ربه ، ورعايه شعبه ، في شخصية ذي القرنين ، الذي بلغ بفتحه مطلع الشمس ومغربها ، ولكنه ظل متمسكاً بالعدل : يكافئ المحسن ويعاقب المسيء ويقاوم المفسدين في الأرض ، ويقيم التحصينات - والسدود الضخمة مستعيناً بالله أولاً ،

(٦٩) التحرير : ١١ - ١٢٠ - ١٢٦ (٧٠) الأعراف :

ثم بجهود الشعوب آخرا . الآيات من سورة الكهف : ( ٩٨ - ٨٣ ) .

(ج) نموذج المبتلى الصابر على البلاء ، والراضي بالقضاء ، في شخصية أيوب : « إنا وجدناه صابراً ، نعم العبد ، إنه أواب » سورة ص : ( ٤١ - ٤٤ ) .

(د) نموذج الشاب المتعطف عن الحرام ، برغم فتوته وجماله ونضرة شبابه وقوه دواعي الإغراء من حوله ، وإحاطة أسبابها به - في شخصية يوسف الصديق « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيئتك ، قال معاذ الله إنه رب أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون » الآيات من سورة يوسف : ( ٣٣ - ٢٣ ) .

(ه) نموذج الشاب المتمثل لأمر الله وإن كان فيه تقديم عنقه قرباناً إلى الله في شخصية الذبيح إسماعيل بن إبراهيم حيث قال له أبوه ، لما بلغ معه السعي : « يا بني إني أرى في المنام أن أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبا إتيافعل ما تؤمر ، ستجلدي إن شاء الله من الصابرين » . الآيات من سورة الصافات : ( ١٠٠ - ١٠٩ ) .

(و) نموذج المؤمن الذي يكتم إيمانه لصلحة ، فإذا جاء وقت الحاجة بربه يبيانه يدافع عن الحق ، ويقاوم الباطل ، ويجادل بالحكمة ويؤثر بالموعظة ، ويدعو على بصيرة - في شخصية مؤمن آل فرعون . « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول رب الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ؟ . الآيات من سورة غافر : ( ٢٨ - ٣٤ ) .

(ز) نموذج الداعية صاحب الرسالة ، يحكم عليه بالسجن ظلماً ، فلا ينسيه ظلم السجن وظلمته حق دعوته عليه ، فينتهز كل فرصة لدعوة السجناء إلى توحيد الله واطراح الوثنية المخرفة في شخصية يوسف بن يعقوب « يا صاحبى - السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ؟ الآيات من سورة يوسف : ( ٣٧ - ٤٠ ) .

(ح) نموذج الابن المؤمن وأبوه كافر ، وكيف يتلطف معه في إسماع الدعوة وتبلیغ الرسالة - وذلك في شخصية إبراهيم وأبيه « إذ قال لأبيه يا أبا إتيافع ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً » ؟ . سورة مريم : ( الآيات : ٤١ - ٤٨ ) .

(ط) نموذج الأب المؤمن وابنه كافر ، وكيف حاول الأب إنعاذه فلم يفلح ، وكيف حاول أن يشفع له عند ربه فعوتب في ذلك أشد العتاب ، وذلك في شخصية نوح وابنه الكافر .. سورة هود : ( الآيات : ٤٢ - ٤٧ ) .

(ى) نموذج المرأة المؤمنة وزوجها كافر متعنت بل متأله . وذلك في شخصية آسية امرأة فرعون وزوجها الطاغية الجبار الذي حشر فنادي فقال : أنا ربكم الأعلى ، فلم يطمعها ملكه ، ولم يخافها حربته ، ولم تعبأ بوعده ووعيده ، واتجهت إلى ربها قائلة « رب ابن لي عندك بيتأ في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين » سورة التحريم : ( الآية : ١١ ) .

(ك) نموذج المرأة الكافرة وزوجها مؤمن ، مثل امرأة نوح وامرأه لوط : « كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخاتاهم فلم يغنا عنهم من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » سورة التحريم ( الآية : ١٠ ) .

(ل) نموذج الإنسان الخير المسلم ، الذي يقابل العداون بالتصوّر ، والسيئة بالحسنة ، والشر بالخير ، في شخصية ابن آدم الذي تسميه الإسرائييليات « هابيل » والذي هدده أخوه بالقتل ، فأجابه : « لشّن بسطت إلى يدك لقتلني ما أنا بيأسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمك وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » سورة المائدة : ( الآيات : ٢٧ - ٢٩ ) .

(م) نموذج الإنسان الشرير ، الذي يعتدى على أخيه ويبلغ في دمه دون جرم جناه لا يردعه دين ولا حلق ولا رحم ، في شخصية ابن آدم المسمى « قابيل » والذي لم يردعه عن قتل أخيه - ابن أمه وأبيه - موقفه الإنساني المثالى منه - « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » . سورة المائدة : ( الآيات : ٣٠ ، ٣١ ) .

(ن) نموذج الشعب الجبان في وقت الكريهة ، الفرار في ساعة الشدة ، المتمرد على أنبيائه - في شخصية الشعب الإسرائيلى حين قال له رسوله ومحرره ومن أنقذه الله على يديه - موسى عليه السلام : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتتقلّبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا دخلنّون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إننا لن ندخلها

أبدأ ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلنا إننا ههنا قاعدون » سورة المائدة :  
 (الآيات : ٢٠ - ٢٦) .

(ص) نموج الأمة التي لا تحترم نعمة الله ، ولا تقوم بحق شكرها ، فيسلبها الله منها ، وذلك في شخصية قوم سبأ « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواق أكل خط وأثيل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور » سورة سبأ (الآيات : ١٥ - ١٧) .

\* \* \*

● حسن الاستدلال بآيات القرآن :  
 وما ينبعى للداعية أن يتحرأ ويحرض عليه ويحكمه : حسن الاستدلال بالقرآن وآياته على ما يريد تقريره ، أو تشتيته من أحكام وتعاليم وأفكار . فإنه إذا أحسن الاستدلال بالنص القرآني ، ووضعه في موضعه ، أزاح كل شبهة ، وقطع كل تعلة ، وأخرس كل معارض ، فلا دليل بعد القرآن ، ولا حديث بعد كلام الله . « ومن أصدق من الله حديثا »<sup>(٧١)</sup> « ومن أصدق من الله قيلا »<sup>(٧٢)</sup> « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون »<sup>(٧٣)</sup> .  
 وهذا لا يملك المؤمن أمام الدليل القرآني الصريح إلا أن يقول : آمنا وصدقنا . أو : سمعنا وأطعنا . كما قال تعالى : « وما كان مؤمناً ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً »<sup>(٧٤)</sup> .

قد أدخل رجل على المؤمن ، كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، دون أن يكون مأموراً من قبل الخليفة . فقال له المؤمن : لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا . ونحن الذين قال الله - تعالى - فيهم : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »<sup>(٧٥)</sup> فقال الرجل : صدقت يا أمير المؤمنين ، أنت كما وصفت نفسك

١٢٢ (٧٢) النساء :

٨٧ (٧١) النساء :

٣٦ (٧٤) الأحزاب .

٥٠ (٧٣) المائدة .

٤١ (٧٥) الحج

من السلطان والتمكّن غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه - ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - قال الله تعالى : «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمَنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ»<sup>(٧٦)</sup> . وقال رسول الله ﷺ : «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» . فأعجب المأمون بكلامه ، وسر به وقال : «مَثْلُكَ يَحْوِزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، فَامْضِ عَلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ بِأَمْرِنَا وَعَنْ رَأْيِنَا» .

وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسنة ، انقطعت حجة الخليفة ، ولم يجد بدأً من إقرار الرجل على ما هو عليه .

وفي مقابل ذلك ، دخل واعظ على المأمون فوعظه ، وعنف له في القول ، فقال المأمون : يارجل ، ارفق ، فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق : بعث موسى وهارون إلى فرعون ، فأوصاهمما بقوله : «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى»<sup>(٧٧)</sup> .

وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى ، لأن الدليل القرآني معه والواجب على الداعية أن يراعيه في هذا المقام أن سدل بالتفق عليه ، لا بالمحتمل والمختلف فيه . فإن الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال ، يسقط الاستدلال به .

فعند الحديث عن شمول القرآن - متألاً - يسدل بعض الناس بقوله تعالى في سورة الأنعام : «مَا فِرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»<sup>(٧٨)</sup> .

مع أن الكتاب في الآية بجمل أن يكون هو الفرآد ، فيكون الاستدلال صحيحاً ويتحمل أن يكون المراد به «اللوح المحموظ» الذي كتب الله فيه مفاصير الخلائق كما في قوله - تعالى - «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَا فِي إِمَامٍ مِّبْيَنٍ»<sup>(٧٩)</sup> «كان ذلك في الكتاب مسطوراً»<sup>(٨٠)</sup> وغيرها من الآيات . والأولى هنا أن يستدل على شمول القرآن بقوله تعالى : «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»<sup>(٨١)</sup> فهي صريحة في الدلاله على المراد . كما أن على الداعية أن سحب الاستدلالات بما ليس بدليل .

٤٤ (٧٧) طـه

٧١ (٧٦) التوبـه

١٢ (٧٩) يـس

٣٨ (٧٨) الأنـعام

٨٩ (٨١) النـحل

٦ (٨٠) الـحزـار

مثال ذلك : أن بعض الناس يستدلّون على أن من ثمار تقوى الله أن يعلمه ما لم يكن يعلم - بقوله تعالى في ختام آية المدائح من سورة البقرة : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله »<sup>(٨٢)</sup> .

والحق أن الآية لا تدل على هذه الدعوى ، لأنها ليست أمراً وجواباً ، فإنما كان يصح ذلك لو كان لفظها : « واتقوا الله يعلمكم الله » . أما الآية أو هذه الفقرة منها - فإنها تتضمن أمراً بتقوى الله ، كما هي سنة القرآن حين يقرن الأوامر والنواهي بالتقوى . ثم بعد ذلك قال : « ويعلمكم الله » أى هذه الأوامر والآحكام ، كما قال في آية أخرى : « يبيّن الله لكم أن تضلوا »<sup>(٨٣)</sup> .

أما الاستدلال على الدعوى المذكورة فيمكن بقوله تعالى في سورة الأنفال : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا »<sup>(٨٤)</sup> . أى نوراً تفرقون به بين الحق والباطل .

ومثلها قوله في سورة الحديد : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تشنون به »<sup>(٨٥)</sup> .

بل يمكن أن يستدلّ بعموم قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا »<sup>(٨٦)</sup> لأنّه يشمل المخرج من الشبهات والمتّشّمات .

\* \* \*

● الحذر والتحذير من سوء التأويل وتحريف الكلم عن موضعه : ويجب على الداعية أن يحذر ويحذر من الانحراف والتحريف ، وسوء التأويل لآيات الكتاب ، وحملها على معانٍ تخرجها عنها أراد الله بها . وهذا نوع من التحريف الذي ذم الله عليه أهل الكتاب ، فقد حرفوا كتبهم لفظياً بالزيادة والنقصان ، ومعنىّاً بسوء التأويل .

أما القرآن فهو محفوظ في الصدور والمصاحف ، ولا سبيل إلى تحريفه لفظياً ، ولكن قد يدخل في تفسيره سوء التأويل ، وهو التحريف المعنى - وأيضاً الرأي المذموم الذي جاء الحديث يتوعّد من فسر به القرآن .

١٧٦ (٨٣) النساء .

٢٨٢ (٨٢) البقرة

٢٨ (٨٥) الحديـد

٢٩ (٨٤) الأنفال :

٢ (٨٦) الطلاق :

وفي عصرنا - كما في عصور سابقة - كثرت أسباب الانحراف والتحريف .

ومن هذه الأسباب :-

١ - اخضاع النصوص للواقع الزمني : وإن كان مخالفًا للإسلام ، ومحاولة أخذها من تلابيبها وتأويلاً بعيداً عن الظاهر ، لتبرير هذا الواقع بإعطائه سندًا من الشرع .

كما رأينا ذلك في محاولات توسيع نظام الفائدة في البنوك عند سطوة الرأسمالية في البلاد الإسلامية ، ومثلها محاولات تبرير التأمين والمصادر للملكيات المشروعة بعد ذلك أيام سطوة الاشتراكية .

ومن ذلك الانحراف في تفسير الآيات والأحاديث عن مدلولاتها الظاهرة الواضحة إلى تأويلات بعيدة غير سائغة ولا لائقة ، ولا منسجمة مع السياق ، اتباعاً لفكرة شائعة أو نظرية سائدة ، لم تبلغ مبلغ الحقائق العلمية . كما وقع في ذلك بعض العلماء المعاصرين ، وغيرهم من الكاتبين المترسعين .

٢ - تبني مذهب أو فكرة أو اتجاه سابق ، ثم اتخاذ النصوص بعد ذلك دليلاً له :

وهو ما عبر عنه بعض علمائنا : أن يعتقد ثم يستدل ، مع أن المنهج السليم أن يستدل ثم يعتقد .

وهذا ما رأينا لهى كثير من علماء الكلام والفلسفه والفرق المختلفة ، والمقلدين في الفقه ، فقد جعلوا مذاهبهم أصلًا ، ثم شدوا النصوص شدًا لتأييد المذهب ، وإن كان في ذلك التكلف والتمحّل ، وإن لم يجدوا مجالاً للتأويل لجئوا إلى القول بالنسخ ، مع أن النسخ لا يثبت بالاحتمال .

وقد رأينا ابن سينا وأمثاله من كبار الفلسفه في العصور الإسلامية ، اعتقادوا صحة ما ذهب إليه أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان في الإلهيات والطبيعتين وغيرها ، فلما اصطدم ذلك بآيات القرآن الوفيرة ، طعموا يؤولونها تأويلاً ترفضها اللغة ، كما يرفضها الدين ، حتى كفرهم الغزالي ومن بعده في تلابيب مسائل معروفة أنكروا فيها ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

٣ - تجزئة النصوص وتفكيكها ، وعدم ربط بعضها ببعض . مع أن الواجب أن يؤخذ في القضية المطروحة ، كل ما ورد فيها من نصوص ، والتوفيق بين بعضها وبعض ، لمعرفة المعنى المراد من مجموعها .

فمن أراد أن يعرف حكم القرآن في الرما فلا يسوغ له أن يقصر على قوله

تعالى في سورة آل عمران : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة »<sup>(٨٧)</sup> دون أن يضم إليها قوله تعالى في سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرموا ما بقى من الربا إن كتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلهم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون »<sup>(٨٨)</sup> . فدل على أن ما زاد على رأس المال فهو ربا ، قليلاً كان أو كثيراً ، وإن تكون عبارة « أضعافاً مضاعفة » وصفاً لبيان الواقع ، وليس قيدها حقيقة كما تقول للتجار الجشعين : لا تختكروا الضروريات لتربحوا مائتين في المائة ، فهذا بيان لواقعهم ، وليس معناه أنهم إذا احتكروا الطعام ونحوه ليربحوا مائة أو خمسمائة أو المائة أو أقل أو أكثر كان ذلك حلالاً .

٤ - اتباع المشابهات وترك المحكمات . وهذا أصل من أصول الزيف والضلال كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ألم الكتاب وأخر مشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيفٌ فيتبعون ما تشبه به من ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلاً ، وما يعلم تأويلاً إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب »<sup>(٨٩)</sup> . بيّنت الآية الكريمة أن من آيات الكتاب محكمات ، أي قاطعات أو واصحات الدلالة لمن تأملها ، وهن ألم الكتاب ، أي أساسه ومعظمها وأكتره ، ومعنى هذا : أن الفرع يجب أن يرد إلى الأصل أو الأم ، والأقل يجب أن يفسر تبعاً للأكثر . ولكن الصالين الذين في قلوبهم زيف وانحراف ، يجرون وراء المشابهات ، متمسكين بما يظهر لهم منها ، موافقاً لأهوائهم . ولو أنهم أنصفوا فردو المشابهات إلى المحكمات ، وبعبارة أخرى : « ردوا المحتملات إلى القواعط والبيانات » للاح لهم الحق وأصحاً وضوح الصبح لذى عينين .

وإذا تبعنا الفرق المنحرفة التي خالفت عن صراط السنة والجماعة منذ صدور الإسلام إلى اليوم ، وجدنا من أهم وأبرز أسباب انحرافها : اتباع المشابهات وترك الأصول المحكمات .

وما من بدعة من البدع المارقة إلا ولأهلها شبه يتكلّمون عليها من هذه المشابهات حتى أن العائليين بوحدة الوجود ، وهم - كما قال صاحب « إيتار الحف على الخلق » - أنسع المبتدعين بدعة وأبعدهم عن القرآن والسنة وأفحشهم قولًا .

٢٧٩ (٨٨) البقرة . ٢٧٨ ،

١٣٠ (٨٧) آل عمران .

٧ (٨٩) آل عمران :

ومع ذلك يحتاجون لدعهم وضلالهم بمتباينات من القرآن والحديث ، فيذكرون مثل قوله تعالى : « إن الذين يباعونك إغا يباعون الله »<sup>(٩٠)</sup> . « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »<sup>(٩١)</sup> .

وب الحديث : « أصدق كلمة قاها شاعر كلمة ليد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ». متفق عليه .

وأغفل هؤلاء أن الدين كله بقرآن وسنته ، بل الأديان السماوية كلها تنادي بأن في الوجود ربا ومربيباً ، وحالقاً ومخلوقاً ، وكوناً ومكوناً ، فتنتيجة الوجود من بدهيات الدين وضرورياته التي لا تحتاج إلى استدلال وإقامة برهان . بل إن النصارى حاولوا ومحاولون أن يجدوا في متشابه القرآن ما يسند دعواهم بألوهية المسيح أو بنوته الله ، من مثل قوله تعالى : « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »<sup>(٩٢)</sup> تاركين المحكم من مثل قوله تعالى : « إن هو إلا عبد أَعْمَنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَا مثلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ »<sup>(٩٣)</sup> . « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام »<sup>(٩٤)</sup> . « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله رب وربكم »<sup>(٩٥)</sup> « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة »<sup>(٩٦)</sup> « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم »<sup>(٩٧)</sup> . والمقصود أن اتباع المتشابه هو دأب الراغبين من قبل ومن بعد .

\*\*\*

علوم القرآن :

وَمَا يَلْزَمُ الدَّاعِيَةَ مَعْرِفَتَهُ : عِلْمُ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ بِمَثَابَةِ مَدْخَلٍ لَابْدَ مَهِ لِدِرْسَاهِ الْقُرْآنِ ذَاتِهِ . وَقَدْ أَلْفَتُ فِيهَا كِتَابَ جَامِعَةَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . فَمِنْ كِتَابِ الْفَدَمَاءِ . «الْبَرْهَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ» لِإِلَمَامِ الْزَّرْكَشِيِّ ، وَ«الْإِلْقَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ» لِلْحَافِظِ السِّيَوْطِيِّ . وَمِنْ الْكِتَابَ الْحَدِيثِ : «مَنَاهِلُ الْعِرْفَانِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ» لِلْزَّرْقَانِيِّ وَ«مَبَاحِثُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ» لِلْدَّكْتُورِ صَبِحِيِّ الصَّالِحِ وَمُثْلِهِ لِلْتَّبِيعِ مَنَاعِ الْقَطَانِ ، وَكَثِيرٌ غَيْرُهَا مَا أَلْفَ لِطَلَابِ الْكَلِيَّاتِ إِلْسَامِيَّةِ . كَمَا أَلْفَتُ كِتَابَ قَدِيمَةٍ وَحَدِيثَةٍ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْقُرْآنِ ، مِنْ الْكِتَابِ

١٧) الأنفال . (٩١)	٩٠) الفتح . (٩٠)
٥٩) الزخرف : (٩٣)	١٧١) النساء . (٩٢)
١١٧) المائدة : (٩٥)	٧٥) المائدة . (٩٤)
٧٢) المائدة . (٩٧)	٧٣) المائدة : (٩٦)

التي تبحث في «إعجاز القرآن» وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق . أو ما يتعلق بالتفسير مثل «رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية في أصول التفسير» و «التفسير والمفسرون» للشيخ الدكتور الذهبي ، «والنسخ في القرآن الكريم» للدكتور مصطفى زيد . وما كتب حول «ترجمة القرآن» بين المؤيدين والمعارضين ، مثل الشيخ المراغي و محمد فريد وجدى والشيخ محمد سليمان وغيرهم .

\* \* \*

### ● تفسير القرآن :

ولا ريب أن أهم علوم القرآن هو «التفسير» الذي يعين على فهم المراد من كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

وقد دُوّن في تفسير القرآن مئات ومئات من الكتب منها ما فقد ، ومنها ما بقي منه ما طبع ومنه ما يزال مخطوطاً .

من هذه الكتب ما يذهب مذهب الرواية ، ويسمى «التفسير بالتأثر» ومنها ما ينحو نحو الدراسة ويسمى «التفسير بالرأي» ولكل منها خصائصه ومميزاته وعيوبه . فمما يغلب على كتب التفسير المتأثر : وجود الإسرائيليات فيها ، وكذلك الموضوع والصعيف من الروايات .

وما يغلب على كتب «التفسير بالرأي» غلبة الطابع الشخصي أو المذهبى أو الزمني على مؤلفها ، حتى إن التفسير ليتلون بلون صاحبه ، وينطبع بطابع عصره وثقافته واتجاهه إلى حد كبير . تفسير العالم اللغوى والنحوى غير تفسير الفقىء ، وهما غير تفسير المتكلم وتفسير المعتزلى غير تفسير الأشعرى ، وتفسير هؤلاء جھيغاً غير تفسير الصوفى .

ولا يحسن بالداعية أن يكتفى بكتاب واحد منها ويهمل سائرها ، فإن لكل منها مزية لا توجد - غالباً - عند غيره ، فالأولى أن ينهل منها ما استطاع وأن يقبس من كل كتاب خيراً ما فيه ولب ما يتميز به ، وبخترز مما فيه من أهواء أو شطحات . فتفسير مثل «الكافش» للزمخشري - رغم نزعته الاعتزالية - لا يحسن الإعراض عنه ، بل ينبغي الاستفادة من مباحثه البلاغية وغيرها وكذلك فعل أهل السنة من قدیم ، لم ينفعهم انتزاعه أن ينتفعوا به . فممنهم من خرج أحاديثه كالحافظ ابن حجر ، ومنهم من تعقبه في مواضع الاعتزال كابن المنير .

فإن كان ولا بد من التخيير والانقاء ، فإن أوتر في التفسير كتاب ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) وإن كان ولا بد من أحدهما : فتفسير ابن كثير ، لأنه جمع خلاصة ابن جرير مع زيادة تقييع وتهذيب ، وحسن ترجيح وتعقيب . وقد قال فيه السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ والزرقان في شرح المواهب : إنه لم يؤلف على نمطه مثله <sup>(٩١)</sup> . وفي رأى أنه تفسير روایة ودرایة معاً .

وأما كتب التفسير بالرأى فيؤخذ منها ويترك ، ولكل منها مزاياه وعيوبه . ومن أمثلها في نظرى تفسير ابن عطية والقرطبي .

أما تفاسير المحدثين ، فهى كثيرة منها : تفسير القاسمى ، وتفسير المنار ، وتفسير ابن عاشور ، وتفسير ابن باديس ، وفي ظلال القرآن لسبد فطب ، والتفسير الحديث لدروزه ، وتفسير الأجزاء العشرة الأولى لشلنوت . وغيرها ..

ولا يستغنى الداعية عن الاستفادة منها ، مع الحذر مما قد يكون فيها من غلو أو تقصير وكل بشر غير معصوم يؤخذ من كلامه وينرك .

\* \* \*

وصايا لقارئ كتب التفسير :

ولا أنسى هنا أن أهمس في أذن الداعية أو طالب الدعوة ، الذى يريد أن يطالع كتب التفسير ، ويعرف من معينها ، بعدة وصايا ، استفادتها من فراءات وتجربتي .

١ - الاهتمام بباب التفسير .

أما وصيبي الأولى ، فهى الإعراض عن الحشو والفضول والاستطراد ، الذى انتفخت به بطون كتب التفسير ، من الاستغرق في المباحث اللغوية ، أو المسائل النحوية والنكبات البلاغية ، والتطويل في المجادلات الكلامية ، والخلافات الفقهية وغير ذلك من ألوان الثفافات إلى شغلت حيزاً ضخماً من كتب التفسير ، حتى حجبت قارئها عن إدراك أسرار كلام الله تعالى ، وهو الذى أعت كتب التفسير من أبله . وهذا ما جعل أبا حيان يقول عن التفسير الكبير أو « متعابع

---

(٩٨) الرسالة المستطرفة للكتاب ص ١٤٧ نقلًا عن (التفسير والمفسرون) ج ١ ص ٢٤٧ ط أولى

الغيب » - للإمام الرازى كلمته المشهورة : فيه كل شيء إلا التفسير<sup>(٩٩)</sup> !  
ولا ريب أن هذه الكلمة غلو من أبي حيان . ففى الكتاب لفتات تفسيرية  
رائعة لا تجدها في غيره .

ولكن استطراداته الطوبىه المديدة في سنتى العلوم ، ومجادلاته الواسعة مع  
أرباب المذاهب الكلامية والفقهية ، قللت من الإفادة بالكتاب .

ومن تم تجنب العناية بباب التفسير : أى ببيان المراد من كلام الله تعالى قبل  
الجرى وراء القيل والقال ، وإضاعة الجهد والوقت فيما لا طائل لعنه ، ولا ثمرة  
تجنبى من ورائه .

وكتيراً ما يذكر بعض العلماء في الآية عشرة أقوال - أو أقل أو أكثر - لزید  
وعمر وبيكر من الناس . دون أن يبين أى قول منها هو المعتمد وقد يختار قوله منها  
دون أن يوضح سر اختياره وترجيحه .

وإذا كان هذا مطلوباً من كل عالم أو طالب علم ، فهو ألزم ما يطلب للدعاة  
إلى الله . فالداعية لا يؤتر في عقول الناس وعواطفهم بالباحث التحويه والبلاغية  
والمجادلات الكلامية والفقهية وإنما يؤثر فيهم بما يجليله من أسرار الحق وأنوار  
الهدابة في كلمات الله .

ولهذا يجب على الداعية أن يلتفت إلى ما في التفسير من تعقيبات ذوى القلوب  
الحية ، مما قد لا يعد من « مادة التفسير » وإن كان يعد من « روح التفسير »  
مثال ذلك ، قوله تعالى :

« إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم الجنة »<sup>(\*)</sup> فالمعنى واضح  
وهو أنه تعالى عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم - إذا بدلوها في  
سيله - بالجنة ، وهذا من فضله وكيرمه وإحسانه ، فإنه قبل العوض عنها يملكته بما  
تفضل به على عباده المطبعن له .

ولكن بعض المفسرين من أرباب الصائر ها لفتات إسرائية ، تحرك

---

( ٩٩ ) وكذلك قال السد رشيد رضا عن تفسير « الحواهر » للشيخ ططاوى جوهري ،  
لكرثة استطراداته وتوعياته في العلوم الحديثة المسائدة وغير مناسبه أكثر مما اهتم بالتعسر  
داته (\*\*) التوطة . ١١١

القلوب الهايدة ، وتحس العزائم الميّة ، بما فيها من حرارة الصدق ، وصفاء الإخلاص . من ذلك قول الحسن البصري وقتادة تعليقاً على الآية : بايّهم والله فأغلى ثمنهم !

وقول الحسن أيضاً : أنفساً هو الذي خلقها ، وأموالاً هو الذي رزقها !  
وقول شمر بن عطية : ما من مسلم إلا والله في عنقه بيعة وفي بها ، أو مات عليها . ثم تلا هذه الآية .

هذا ما ينبغي للداعية أن يحرص عليه ، ويستظهره ، ويستزيد منه .

## ٢ - الإعراض عن الإسرائييليات .

وإن مما شوه تراثنا الثقافي - وخصوصاً في ميدان التفسير - تسرب الإسرائييليات إليه ، وتعكيرها لصفوه .

وقد بدأ هذا التسرب - للأسف الشديد - منذ عهد مبكر . أى من عهد الصحابة والتابعين ، على أيدي أمثال : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه وغيرهما من دخل في الإسلام من أهل الكتاب . وكذلک ما وصل إلى المسلمين من كتب اليهود والنصارى .

ولكن التسرب كان في أول الأمر قليلاً ثم كثر ، ضيقاً ثم اتسع ، عفويًا ثم طفق يأخذ صفة الكيد والتدبر . والدس المتمدد .

وكان اليهودية حين منيت أمم دعوة الإسلام بالهزيمة العسكرية ، في المدينة (خبير وغيرهما) ، أرادت أن تقاوم الإسلام بسلاح آخر يعوضها عن هزيمتها وذلك هو سلاح الغزو الثقافي ، فدست إسرائييلياتها المنكرة ، في غفلة من الزمن ، فلم تuspى برهة حتى غصت بها كتب المسلمين .

هذا مع أن القرآن الكريم ، قد سجل على أهل الكتاب عامة واليهود خاصة ، تحريفهم لكتبهم ، وقوفهم على الله بغير علم ، وإن منهم لفريقاً « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلواه وهم يعلمون »<sup>(١٠٠)</sup> . « وممن لا يعلمون الكتاب إلا أمان»<sup>(١٠١)</sup> وإنهم « يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً »<sup>(١٠٢)</sup> وأنهم « نسوا حظاً مما ذكروا

٧٨ (١٠١) البقرة :

٧٥ (١٠٠) البقرة :

٧٩ (١٠٢) البقرة :

به «<sup>(١٠٣)</sup> وأثئم « يحرفون الكلم عن مواضعه »<sup>(١٠٤)</sup> إلى آخر ما دمغهم آلة تعلى به من صفات السوء .

ومع أن الرسول - ﷺ - رأى صحقيقة من التوراة في يد عمر بن الخطاب ، فغضب وقال « أو متهوكون فيها - أى منحررون في ملتك - يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتم بها بيضاء نقية والذى نفسى بيده ، لو كان موسى حياً ما حل له إلا أن يتبعنى » .

فكيف مع هذا نساهل المسلمين في الأخذ عن أهل الكتاب وعن بنى إسرائيل على الخصوص ؟ يبدو لي أن هناك سببين لهذا التساهل .

أولهما : ما فهموه من حديث البخارى عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوا مقعده من النار » . وقد ذكره ابن كثير في مقدمة تفسيره مستدلاً به على جواز التحدث عنهم فيما لا نعلم كذبه من ديننا .

وسبب آخر جعلهم يروون هذه الإسرائيليات في التفسير ، وهو أن كثيراً منها يتعلق بأمور مسكونة عنها ، ليست مما علم المسلمين صحته مما يأيدتهم مما يشهد له بالصدق ، ولا مما علموا كذبه بما عندهم مما يخالفه . ولكنها أشياء لا من هذا القبيل ولا ذاك ، فلا تصدق ، ولا تكذب ، وتجوز على هذا حكايتها وغالبها مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني .

قال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره - وهو منقول من رسالة شيخه ابن تيمية - : « وهذا يختلف أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً ، ويأى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون مثل أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم إلخ . وعدتهم ، وعصا موسى من أى شجر كانت ! وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلام الله منها موسى ، إلى غير ذلك مما أبهمه الله - تعالى - في القرآن ، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم . ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز . كما قال تعالى : « سيقولون : ثلاثة رابعهم - كلبهم ... » إلى آخر الآية .

---

(١٠٣) المائدة ١٣ - بلفظ : « ونسوا ... »

(١٠٤) النساء ٤٦ ، المائدة ١٣

وقد عقب على ذلك العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - فقال وأحسن فيها قال : « إن إباحة التحدث عنهم فيها ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه - شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن ، وجعله قولًا أو رواية في معنى الآيات ، أو في تعين ما لم يعن فيها ، أو في تفصيل ما أجمل فيها - شيء آخر ، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصل لما أجمل فيه ! وحاتنا الله ولكتابه من ذلك .

وإن رسول الله ﷺ - إذ أذن بالتحدث عنهم - أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم . فأى تصدق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان ؟ اللهم غفرا .

وقد قال الحافظ ابن كثير نفسه في تفسير الآية ٥٠ من سورة الكهف ، بعد أن ذكر أقوالًا في « إبليس » واسمها ، ومن أى قبيل هو ؟ : « وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائييليات التي تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه ، لمخالفته للحق الذي بآيدينا . وفي القرآن غنية عن كل ما عدها من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبدل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفعون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين - كما هذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والساسة والأتقياء ، والبررة والنجباء<sup>(١٠٥)</sup> . وقال في أول سورة ( ف ) : « وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا : ق ، جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له جبل قاف !!! وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أحذها عنهم بعض الناس ، بما رأى من جواز الرواية عنهم ، مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اخلاق بعض زنادقتهم ، يلسوون به على الناس أمر دينهم . كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ﷺ ، وما بالعهد من قدم . فكيف بأمه إسرائيل ، مع طول المدى ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته - وإنما أباح الشارع في الرواية عنهم في قوله « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيها قد تجوره العقل . فاما فيما خلله

العقل ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل » .

« وقال عند تفسير الآيات ( ٤١ - ٤٤ ) من سورة النحل ، وقد ذكر في قصة ملكة سبأ أثراً طويلاً عند ابن عباس ، وصفه بأنه « منكر غريب جداً » ثم قال : « والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقة عن أهل الكتاب ، مما وجد في صحفهم ، كروايات كعب ووهب ، سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل ، من الأوابد والضرائب والعجبات ، مما كان وما لم يكن ، وما حرف ونسخ ، وقد أغناها الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ، والله الحمد والمنة » (١٠٦) .

ولابن كثير - رحمة الله - في تفسيره تعقيبات كثيرة من هذا النوع على الإسرائيليات ، تتضمن إنكاره عليها ، ورفضه لها ، وإن كان يذكرها تبعاً لمن قبله . وفي بعض الأحيان يرفض ذكرها بالكلية ، مبقياً القرآن على إجماله دون الخوض في تفصيلات لم يأت بها حديث تابت عن معصوم .

وذلك كما في تفسير قوله تعالى في سورة (ص) : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تصوروا المحراب . إذ دخلوا على داود ففزع منهم » ( الآيات : ٢١ - ٢٥ ) فقد قال ابن كثير :

« قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذه من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنه : لأنّه من روایة يزيد الرقاشي عن أنس - رضي الله عنه - ويزيد وإن كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه الفضة وأن يرد علمها إلى الله - عز وجل - فإن القرآن حق وما تضمنه فهو حقيقة (١٠٧) .

وكنت أود أن يقف ابن كثير هذا الموقف من قصة سليمان في قوله تعالى في سورة (ص) أبصراً : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب » (١٠٨) . ولكنـه - رحمة الله - أطال وأطنـب في سرد الروايات العجيبة العربية

(١٠٦) عمدـه المـسـرـ ـ ١ ص ١٧

(١٠٧) تفسـير اـسـ كـبرـ ـ ٤ ص ٣١ ط عـيسـى الـحلـى (١٠٨) سـورـة ص ٣٤

المروية عن ابن عباس وقتادة والسدى ومحامد وكعب الأحبار وغيرهم من مفسرى السلف ، وكلها مما لا يقبله عمل ، ولا يصدقه نقل ، وفدى ذكر حدبتنا منها رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس - ثم قال : إساده إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - قوى ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - رضى الله عنهما - إن صح عنه ، من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون سورة سليمان عليه الصلاة والسلام ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه .. إلى أن قال :

« وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف - رضى الله عنهم - كسعيد بن المسيب ، وزيد بن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها متلقة من قصص أهل الكتاب »<sup>(١٠٩)</sup> .

فلم إذن تسويد الصفحات ، وإضاعة الأوقات فيها لا يسنده علم ولا هدى ولا كتاب منير ؟ . وقد قال ابن كثير عند تفسير الآيات ( ٥٦ - ٥١ ) من سورة الأنبياء : « والذى نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ، لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها الكذب المروج عليهم .. » وليته أعرض عنها كلها لا عن كثير منها ، فإن القليل منها إثمه أكبر من نفعه .

ومن الكلمات البليغة المعبرة عن الإنكار والسخط على هذه الإسرائيليات ووجوب تنزيه القرآن عنها :

كلمة لابن عباس رواها البخارى في صحيحه ، ونقلها عنه الحافظ ابن كثير ، عند تفسير الآية ( ٧٩ ) من سورة البقرة . فقال ابن عباس : « يا معاشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه أحدث أخبار الله ، تقرأونه مخضأ لم بشب ! وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوه كتاب الله وغيره وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً . أفلأ ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسأله لهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذى أنزل إليكم » .

وهذه الموعظة القوية الرائعة ، رواها البخارى في ثلاثة مواضع من

صحيحه<sup>(١١٠)</sup> .

١٠٩) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٤ - ٣٧ .

١١٠) مقدمة عمدة التفسير ج ١ ص ١٩ .

### ٣ - الحذر من الروايات الموضعية والضعيفة :

وإذا كان على الداعية أن يحدّر من الإسرائيليات التي كدرت صفاء التفسير بما دسته من سرور . فإن عليه كذلك أن يحدّر من الروايات الموضعية والضعيفة التي حتى بها كثيرون من كتب التفسير .

سواء من ذلك ما كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ - وما كان موقوفاً على بعض الصحابة ، مثل علي وابن عباس وغيرهما ، وما كان منسوباً إلى بعض التابعين مثل مجاهد وعكرمة والحسن وابن جبير وغيرهم ، أو منسوباً إلى من بعدهم من أهل العلم .

وكان مثل ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير الطبرى ، يجمعون في تفسيرهم الصحيح والحسن ، والضعف والنكر ، بل الموضوع أحياناً من الأحاديث المرفوعة والروايات الموقوفة والمقطوعة .

وإذا أخذنا مفسراً كابن عباس مثلاً لنا فيما نقوله . وجدنا الطرق إليه مختلف قوة وضعفاً ، وقبولاً ورداً .

فهناك طريق معاوية بن صالح عن على أبي طلحة عن ابن عباس . وهذه هي أجود الطرق عنه .

ونحوها : طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس .

ودونها : طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن تابت عن عكرمة أو ابن جبير عن ابن عباس ، وأسنادها حسن .

ودونها : طريق إسماعيل السدى الكبير عن أبي ثمالك أو عن أبي صالح عن ابن عباس . والسدى هذا مختلف فيه ، ولكن روى له مسلم وأهل السنن الأربع .

وهناك طريق ابن جريج عن ابن عباس ، وهذه تحتاج إلى نظر ودقة في البحث لأن فيها الصحيح والشكي ، لأن ابن جريج لم يقصد الصحة فيها جمع .

وهناك طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس ؛ وهي منقطعة إليه ، لأن الضحاك روى عنه ولم يلقيه . وفي هذه الطريق من الضعفاء من روى

عن الضحاك مثل بشر بن عمارة عن أبي روق عنه .

وهناك طريق عطية العَوْف عن ابن عباس ، وعطية ضعيف .  
وطريق مقاتل بن سليمان ، وقد ضعفوه ، وقد يروى عن مجاهد والضحاك  
ولم يسمع عنها ، وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه أحد .

وهناك طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . وهذه هي أوهى  
الطرق عنه . فان انضم إلى طريق الكلبي رواية محمد بن مروان السدي  
الصغير ، فهى سلسلة الكذب ، كما قال ابن حجر والسيوطى وغيرهما .

ومع هذا فإن المفسرين المتقدمين دونوا هذه الروايات بعجرها وبُحرها ، حتى  
أوهى الطرق عن ابن عباس كثيراً ما يخرج منها التعليق والواحدى (١١١) .

وفد كان عذر المتقدمين في سياق هذه الروايات : أنهم يذكرونها بأسانيدها  
معتقدين أنهم بذلك قد برئوا من عهدها بذكر سندتها ، كما قيل : من أسد لك  
فقد حملك: أي حملك البحث عن رواته ومبلغهم من العدالة والضبط .

وكان العلماء في عصرهم يقدرون على تتبع الأسانيد ونقدتها ، ومعرفة حال  
رجالها . وهذا لم يكونوا - في أغلب الأحيان - يعقبون عليها بتصحيح أو  
تضعيف .

ثم جاء من بعدهم فنقل عنهم هذه الأقوال والروايات بعد حذف أسانيدها ،  
فظنها من ظنها من المتأخرین ثابتة وهي غير ثابتة ، وهذا ما أوقع كثيراً من  
المعاصرين في الخطأ ، حيث يكتفون بنقل الرواية عن الطبرى والزمشري  
والنسفى والرازى والخازن وغيرهم . وكأن مجرد هذه النسبة تغنىهم عن البحث في  
قيمة الروايات ، ومقدار ثبوتها ، ومدى قوتها أسانيدها .

وحسبيك أن تقرأ ما نقله كثير من هؤلاء المفسرين في فضة زينب بنت جحش  
وزوجها الأول زيد بن حارثة ، وما جاء في شأنها في سورة الأحزاب ، وعذاب الله  
لرسوله في هذا الشأن ، وذلك قوله تعالى : «إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مَبْدِيهِ وَتَخْشِي

---

(١١١) انظر . التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ج ١ ص ٧٧ - ٨١  
والإنقاذ ج ٢ ص ١٨٩ .

الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعائهم إذا قضوا منها وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً»<sup>(١١٢)</sup>

فقد جعلت الروايات من سبب نزول هذه الآية قصة حب عاطفي تخيله متخيل أو افتراه مفتر ، زعم أن زينب ظهرت للنبي ﷺ يوماً بعد زواجهها من زيد ، فرأها فتعلق قلبه بها ، ورجع وهو يردد : سبحان مقلب القلوب ! . ولكنه كتم هذا الحب .. الخ حتى نزلت الآية .

وهذا الهراء لا دليل في الآية عليه ، ولم تصح به رواية ، كما لا تستند دراية ومع هذا نعلق به المستشرقون والمبشرون وجعلوا منه قصة درامية غرامية ، يتخذون منها وسيلة للطعن في محمد ﷺ . وحجتهم أن ذلك منقول في أمهات كتب التفسير .

وأعجب من ذلك تعلق بعض المعاصرين من المسلمين ، الذين يكتبون في التفسير أو السيرة ، بهذه الروايات ، بدعوى أنها في كتب التفسير<sup>(١١٣)</sup> .

ورحم الله الإمام الحافظ ابن كثير ، فقد قال عند تفسير الآية المذكورة : ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ه هنا آثاراً عن بعض السلف - رضي الله عنهم - أحببنا أن نضرب عنها صفحأ ، لعدم صحتها ، فلا نوردها . وقد روى الإمام أحمد ه هنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد عن تابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً»<sup>(١١٤)</sup> .

وقد رد كثير من المعاصرين هذه الروايات ، معتمدين على النقد الداخلي لها ، مثل الدكتور هيكل في «حياة محمد»<sup>(١١٥)</sup> والشيخ محمد الغزالى في «فقه السيرة»<sup>(١١٦)</sup> .

---

(١١٢) الأحزاب : ٣٧

(١١٣) مثل الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها «نساء النبي»

(١١٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩١ ط الحلبي

(١١٥) ص ١٧٥ - ١٨٢ الطبعة الحادية عشرة

(١١٦) ص ١١٦ - ١١٨ ط ثلاثة

ومثل ذلك ما يذكره المفسرون عند تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » <sup>(١١٧)</sup> الآية . . من سورة الحج من قصة « الغرانيق » وهي قصة مرفوضة لا تقوم على ساقين ، ولا يؤيدها نقل صحيح ولا عقل صريح .

وقد قال ابن كثير « قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح » <sup>(١١٨)</sup> .  
ولكن - رحمة الله - لم يصنع هنا ما صنع في قصة زينب ، حيث ضرب هناك صفحأً عن الروايات الضعيفة ولم يوردها أصلاً . أما هنا فحكم بضعفها ولكنه ذكرها .

ومثل هذه الروايات الضعيفة المتهافة يفتح لها المستشركون صدورهم ، وياخذونها مسلّمين ؛ لأنها توافق هواهم ، وتحلّم فكرتهم ، في حين يردون - كثيراً - الروايات الصحيحة إذا عارضت اتجاههم .

#### ٤- الخذر من الأقوال الضعيفة والأراء الفاسدة :

وما ينبغي أن يحدّر منه قارئ التفسير : الأقوال الضعيفة بل الفاسدة في بعض الأحيان . وهي أقوال صحيحة النسبة إلى قائلها من جهة الرواية ، ولكنها سقيمة أو مردودة من جهة الدراسة . وليس هذا بمستغرب ما دامت صادرة عن غير معصوم . فكلّ بشر يصيب ويخطئ ، وهو معدور في خطئه ، بل مأجور أجرأ واحداً إذا كان بعد تحرّر واجتهاد ، واستفراغ للوسع في طلب الحق .

وإذا كان ابن عباس - رضي الله عنها - وهو ترجمان القرآن ، وحبر الأمة قد ثبتت عنه آراء في التفسير اعتبرها جمهور علماء الأمة ضعيفة أو شاذة ، وخالفه فيها عامة الصحابة ، مثل أقواله في المواريث ونحوها ، فكيف بمن دون ابن عباس ومن دون تلاميذ تلاميذه ؟ !

<sup>(١١٧)</sup> الحج . ٥٢

<sup>(١١٨)</sup> تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٩ . وقد ألف المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رسالة سماها « نصب المجانيق لنصف قصة الغرانيق » بين فيها بالأدلة العلمية بطلان تلك الحكاية فلترأه

ولقد رأينا شيخ المفسرين الإمام أبا جعفر بن جرير الطبرى - على جلاله قدره ، و منزلة كتابه في التفسير - يختار أحياناً تأويلاً ضعيفاً ، بل هي غاية في لضعف . كتفسيره لقوله تعالى : « واهجروهن في المضاجع »<sup>(١١٩)</sup> بأن معناها قيدوهن : من هَجَرَ البعير إذا شده بالهِجَار ، وهو القيد الذي يقيده به . والمراد : تقييد النساء لإكراههن على ما تمنعن عنه ! ولا عجب إن سمي الزمخشري هذا التفسير بـ« تفسير الثقلاء » !

وكذلك اختياره لآيات المائدة : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »<sup>(١٢٠)</sup> « فأولئك هم الظالمون »<sup>(١٢١)</sup> « فأولئك هم الفاسقون »<sup>(١٢٢)</sup> أنها في أهل الكتاب . هذا مع أن الاعتبار بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب . وقد ذكرت هذه الآيات عند حذيفة بن اليمان فقال رجل : إن هذا في بني إسرائيل ! . فقال : نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كان لكم كل حلوة ، و لهم كل مرة ! يعني كيف يوصف بنو إسرائيل بالكفر أو الظلم أو الفسق إذا لم يحكموا بما أنزل الله عليهم ، ولا توصفون أنتم بذلك إذا لم تحكموا بما أنزل الله عليكم .

والمقصود هو انتقاء الضعيف من الأقوال والتأويلاً . منها تكن مكانة قائلها . وقد قال على كرم الله وجهه : لا تعرف الحق بالرجال : اعرف الحق تعرف أهله .

\* \* \*

٤٤) المائدة : ١٢٠  
٤٧) المائدة : ١٢٢

٣٤) النساء : ١١٩  
٤٥) المائدة : ١٢١

## السنة النبوية

والمصدر الثاني للثقافة الدينية للداعية هو : السنة . فهى شارحة القرآن والمبينة له . والمفصلة لما أجمل . وفيها يتمثل التفسير النظري ، والتطبيق العملي لكتاب الله . قال الله تعالى يخاطب رسوله : « وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم »<sup>(١)</sup> « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهى ورحمة لقوم يؤمنون »<sup>(٢)</sup> .

وسئلَت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « كان حسنة القرآن » .

والسنة تشمل : أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقديراته وأوصافه وسيرته ، فهى سجل حافل لحياته وجهاده عليه الصلاة والسلام في سبيل دعوته . حوت من جوامع الكلم ، وجواهر الحكم ، وكنوز المعرفة ، وأسرار الدين ، وحقائق الوجود ، ومكارم الأخلاق ، وروائع التشريع ، وخوايد التوجيه ، ودقائق التربية ، وشواخ المواقف ، وآيات البلاغة - ثروة طائلة هائلة ، لا تنفذ على كثرة الإنفاق ، ولا تبلى جدتها بكر الغداة ومر العشي .

ولا يستغنى داعية يريد أن يحدث أو يدرس أو يحاضر أو يخطب أو يكتب ، عن الرجوع إلى هذا المصدر الغنى ، والمنهل العذب ، ليستقى منه - بقدر ما يتسع واديه - فيرتوى ويروى .

وقد صور النبي ﷺ - ما بعثه الله به من الهدى والعلم و موقف الناس من الاستفادة منه ، والإفادة به ، تصويراً بلانياً معبراً . فيما رواه الشیخان عن أبي موسى مرفوعاً قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير - وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها ،

(٢) النحل : ٦٤

(١) النحل : ٤٤

وسقوا وزرعوا . . وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيungan لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلاً. كذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

والأرض الطيبة التي تقبل الماء فترتوى به ، وتنبت العشب والكلا ، مثل أهل الفقه والدرية من أهل العلم . والأرض الثانية التي تمسك الماء لينتفع به غيرها مثل أهل الحفظ والرواية من أهل العلم . وأما الأرض السبحة الأخرى فمثل طائفة أهل الجهل والضلال التي لم تنتفع من علم النبوة وهداها بشيء .

وكتب السنة كثيرة جداً ، ولكن ينبغي للداعية أن يقدم ما هو الأهم منها - مثل الكتب الستة ، ومسند الدارمي ، وموطاً مالك ، ومسند أحمد .

ولبعض هذه الكتب مختصرات يمكن أن تكفى من لم تسعفه الهمة والوقت بقراءة الأصول ذاتها ، مثل التجريد الصريح للزبيدي ، وهو مختصر للبخاري حذف منه المكررات والمعلقات والأسانيد . وكذلك : مختصر صحيح مسلم للمنذري بتحقيق الألباني . وهناك كتب عملت على جمع هذه الكتب أو بعضها مثل : جامع الأصول لابن الأثير جمع فيه أحاديث الأصول الخمسة : الصحيحين وسنن أبي داود والترمذى والنسائى ، وجعل سادسها موطاً مالك ، بدلاً من سنن ابن ماجه لأن فيه كثيراً من الضعف . بل فيه أحاديث موضوعة ، وهذا ود بعض الحفاظ لو كان مسند الدارمي مكانه - وذلك بعد حذف المكرر منها .

ومثله : مجمع الزوائد - للهيثمى . جمع فيه زوائد مسانيد الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى ، ومعاجم الطبرانى الثلاثة ، وهو مطبوع في عشرة أجزاء ، والمراد زوائد هذه الكتب على الكتب الستة ، على اعتبار ابن ماجه منها .

وقد قام أحد علماء الحديث في القرن الحادى عشر - وهو العلامة : محمد بن محمد بن سليمان ( المتوفى بدمشق سنة ١٠٩٤ ) بجهد مشكور في الجمع بين كتاب ابن الأثير والهيثمى ، وأضاف إليها زوائد الدارمي وابن ماجة ، فكان هذا الكتاب بحق موسوعة حديثية جمعت أكثر من عشرة آلاف حديث نبوى من أربعة عشر كتاباً . وسمى كتابه « جمع الفوائد من جامع الأصول وجمع الزوائد » .

وبجوار هذا اللون من تجميع الأحاديث ، وجد لون آخر ، أو طريقة أخرى وهى التجميع حسب أوائل الحديث ، وفقاً لترتيب الحروف الهجائية .

ومن ذلك ما صنعه الحافظ السيوطي في كتابه «الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير» وقد أضاف إليه زيادات ضمها الشيخ البهان في كتاب سماه «الفتح الكبير بزيادة الجامع الصغير».

والكتاب الآخر هو «الجامع الكبير» الذي حاول أن يجمع فيه كل ما وصل إليه من كتب الحديث. وقد رتبه الشيخ علاء الدين «على المتقد» من علماء الهند، على الأبواب والمواضيعات في كتابه الذي سماه «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال».

وثمت كتب أخرى متخصصة هدفها تجميع نوع معين من الأحاديث كأحاديث الأدعية والأذكار وما يتعلق بها في مثل كتاب «الأذكار» للإمام النووي وكتاب «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية. وأحاديث الآداب والفضائل وما يتعلق بها مثل كتاب «الأدب المفرد» للبخاري، وكتاب «شعب الإيمان» للبيهقي وكتاب «رياض الصالحين» للنووى. وأحاديث التي تتضمن الترغيب والتحبيب في الخير والطاعة، والترهيب والتخويف من الشر والمعصية، مثل «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، أو الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية مثل «عمدة الأحكام» للحافظ المقدسي، ويشمل أحاديث الصحيحين فقط، و«الإمام» للإمام ابن دقيق العيد، و«منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار» للمجدد بن تيمية، و«بلغ المرام من أدلة الأحكام» للحافظ ابن حجر.

إلى جانب هذه الأنواع من الكتب توجد كتب الشروح، وهي كتب جد نافعة ولا يستغنى عنها داعية، ففيها من الفوائد الحديثية، والفقهية والأصولية، واللغوية والأدبية والتاريخية والأخلاقية، ما لا يزهد فيه ذو عقل، فهي مفاتيح من أراد أن يفتح مغاليق ما أشكل من الأحاديث، أو بدا تعارضه في الظاهر. وهي مصابيح ت Nir الطريق من يريد معرفة ما تتضمنه الأحاديث من أحكام وأداب وتشريع وتوجيه. ولا يسع عالماً أن يعرض عن هذه الثروة ويبداً وحده من جديد، فهذا مناف لمنطق العلم، ومنطق العقل، ومنطق التاريخ.

من هذه الكتب.

(أ) شروح البخاري، مثل عمدة القارى للعیني. وإرشاد السارى

للقططلاي وفتح الباري لابن حجر ، وهو الذى قال فيه الشوكانى : لا هجرة بعد  
الفتح !

(ب) شروح مسلم ، وأبرزها : شرح النوى ، وشرح الأبي والسنوسى .

(ج) شروح أبي داود . مثل : « معلم السنن » للخطابي ، و « تهذيب السنن » لابن القيم و « عون المعبود » للديانوى ، و « بذل المجهود » للسهاي نفورى » و « المنهل العذب المورود » لمحمود خطاب السبكى ، ولكنه لم يكمل .

(د) شروح الترمذى ، مثل « عارضة الأحوذى » لابن العربى ، « تحفة الأحوذى » للمباركفورى .

(هـ) شروح النسائى أعني تعلیقات السیوطی والسندي على السنن الصغرى .

(و) شروح الموطا : مثل « المتنقى » لأبى الوليد الباچى « تنویر الحوالك » للسیوطی و « المسؤى » للدهلوى و « أوجز المساالك » لمحمد زكريا الكاندهلوى .

(ز) شرح المسند في « الفتح الربانى » لأحمد عبد الرحمن البنا ويتضمن ترتيب وشرح وتحريج المسند ، وكذلك تعلیقات أحد محمد شاكر على الأجزاء التي صدرت من المسند بتحقيقه .

(ح) شرح « مشکاة المصابيح » المسمى « مرقاة المفاتیح » للعلامة على القارى في خمسة مجلدات و « مرعاة المفاتیح » للمبار كفورى .

(ط) شرح « الجامع الصغير » للعلامة المناوى في كتابه « فيض القدير » في ستة مجلدات ، وقد اختصره في شرح مختصر سماه « التيسير » . وقد طبع في مجلدين . و « السراج المنير » للعزىزى وقد طبع في ثلاثة مجلدات .

(ى) شرح « رياض الصالحين » وهو المسمى « دليل الفالحين » في أربعة مجلدات .

(ك) شروح الأربعين النووية و « الخمسين الرجبية » وأعظم شروحها بلا شك هو شرح ابن رجب الذى سماه « جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم » .

(ل) شروح أحاديث الأحكام مثل : « الإحکام - شرح عملة الأحكام » لابن دقيق العيد ، وعليه حاشية الصنعاني المسماة « العدة » . . . ومثل : « نيل الأوطار » . - شرح « متنقى الأخبار » للعلامة الشوكانى ، و « سبل السلام » شرح « بلوغ المرام » للصنعاني .

كما ينبغي الاهتمام بكتب «الغرب» وهي التي تعنى بشرح المفردات والجمل الغريبة في الحديث ، مثل «غريب الحديث» لأبي عبيد ، و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري ، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير ، . وهو موسوعة جليلة و«مشارق الأنوار» للقاضي عياض .

\*\*\*

● **تنبيهات للداعية في مجال السنة :**  
وأود أن أنبه هنا إخوان الدعاة وأبنائي طلاب الدعوة إلى عدة أمور أراها مهمة لهم في مجال دراسة السنة .

#### (أ) الاهتمام بالسيرة النبوية .

أول هذه التنبيهات أن يوجهوا عنایة خاصة للجزء العملي من السنة ، وهو الذي يتعلّق بسيرة النبي ﷺ ، ويسجل موافقه من شئون الأمور ، وهديه في جميع شئون الدين والدنيا .

ففي هذه الناحية العملية من سنته - ﷺ - نجد الإسلام مجسماً في حياة بشر ، ونجد القرآن حياً م شخصاً يسعى على قدمين ، ولما سئلت عائشة عن خلقه عليه الصلاة والسلام قالت : كان خلقه القرآن ، أى أنه ﷺ كان نموذجاً حياً للفضائل والأخلاق التي دعا إليها القرآن .

فإذا كان الإسلام يدعو إلى العدل - و يجعله إحدى قيمه العليا ، ومبادئه الأساسية ويقاوم الظلم بكل صوره ، فإن حياة النبي ﷺ وسيرته مثال ناطق لتحقيق العدل في جميع المجالات : العدل مع النفس ، والعدل مع الأسرة ، والعدل مع الأقارب ، والعدل مع الأصدقاء ، والعدل مع الأعداء ، وهكذا كل ما يمكن من صور العدل و مظاهره . والأمثلة التطبيقية لهذه الأنواع من العدل موفورة في سيرته - ﷺ - لا يعجز الداعية عن استخراجها من كتب الحديث والسيرة .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الشورى ، بوصفها أساساً من أسس الحياة الاجتماعية والسياسية في الإسلام ، فإن سيرة النبي ﷺ هي وسيلة الإيضاح لتطبيق هذا المبدأ الجليل ، كما يلمس ذلك الدارس لغزوات مثل بدر وأحد وخمير وغيرها . وإذا كان الإسلام يدعو إلى فضائل خلقية معينة ، مثل : الصدق ،

والأمانة ، والوفاء ، والصبر ، والسخاء ، والشجاعة ، والرحمة ، وغيرها ، فإن سيرة النبي ﷺ هي التطبيق الرائع لهذه الأخلاق .

وهكذا كل المبادئ والمعانى والقيم التي جاء بها الإسلام تتجلى في حياته عليه الصلاة والسلام . وهذا ينبغي للداعية الموفق - بعد أن يذكر موضوعه معززاً بالأيات والأحاديث النظرية - أن يؤيدها بمواقف من السيرة العملية .

فمن كان يتحدث عن خلق التواضع ، مثلاً ، فلا يحسن به أن يكتفى بسرد الآيات والأحاديث في فضله ، حتى يذكر تواضعه ﷺ في أهله وفي أصحابه فقد كان يخصف نعله ، ويرفع ثوبه ، ويحلب شاته ، ويطحن بالرحا مع الجارية والغلام .

ويجلس مع أصحابه كواحد منهم ، حتى يأقى الغريب فلا يعرفه من بينهم ، ولا يميز نفسه عنهم في حضر أو سفر ، حتى اختار مرة أن تكون مهمته جمع الخطب لإنضاج الطعام لهم . وأبى في غزوة بدر أن يركب وصاحباه يمشيان - وقد عرضنا عليه ذلك راضيين - قائلاً : ما أنتما بأقوى مني على المشي ، وما أنا بأغنى منكم عن الأجر !

ولعل من النافع هنا أن أذكر الإخوة الدعاة بأن للسيرة مصادر شتى غير كتب السيرة الرسمية المعروفة مثل : سيرة ابن هشام ، وشرحها للسهيل المسمى « الروض الأنف » ، وامتناع الأسماع للمقرizi ، أو السيرة الخلبية ونحوها . فلابد من الانتفاع بتلك المصادر كلها ما أمكن ذلك .

من هذه المصادر :

- (١) القرآن الكريم وتفاسيره وبخاصة المؤثر منها .
- (٢) كتب الحديث ، فهي كما تتضمن أقوال النبي ﷺ تتضمن أفعاله وتقريراته وأوصافه الخلقية والخلقية ، ومن ذلك مراحل دعوته وجهاده وغزواته وموافقه وهي سجل حافل لحياته كلها .
- (٣) كتب الشمائل والهدى النبوى مثل « الشمائل المحمدية » للترمذى وقد شرحه أكثر من واحد . و « زاد المعاد في هدى خير العباد » لابن القيم .
- (٤) كتب التاريخ العام مثل : تواریخ الطبری وابن الأثیر وابن کثیر ، ففي كل منها فصول ضافية عن السيرة النبوية ، ولا سيما ابن کثیر ، وقد فصلت السيرة

من تاريخه وطبعت محققة مستقلة .

(٥) كتب دلائل النبوة ، وهى التى تعنى بما ظهر على يديه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من الآيات والخوارق ، وما نبأ به من الغيب .. الخ .

\* \* \*

(ب) جمع الأحاديث في الموضوع الواحد وتصنيفها :  
وما نبأنا عليه في شأن القرآن من العناية بجمع الآيات في الموضوع الواحد ،  
ومحاولة تصنيفها وتقسيمها على أجزاءه وعناصره ، نبأنا عليه هنا فيما يتعلق  
بالأحاديث أيضاً .

فعلى الداعية أن يستحضر الأحاديث المنصلة بموضوعه من مظانها من دواعين  
السنة المختلفة ، وبخاصة ما كان منها مرتبأ على الأبواب ، مثل الكتب الستة ،  
والموطأ ، ومسند الدارمي ، وسنن البيهقي ، والمستدرك ، وجمع الزوائد وغيرها ،  
وكذلك مثل رياض الصالحين والترغيب والترهيب ونحوها .. مع الحذر من  
الأحاديث الموضوعة والواهية ، كما سنفصل ذلك بعد .

وبعد الجمع والاستحضار - تبدأ عملية التصنيف والترتيب ، وهذه تحتاج إلى  
وعى وحسن إدراك ، فليس المطلوب هو مجرد سرد الأحاديث الواردة في  
الموضوعات تباعاً ، وإنما المطلوب الاستشهاد بها على كل عنصر من عناصر  
الموضوع ما أمكن ذلك .

هب أنك تريد أن تبين موقف السنة من « العلم » الذي يلهج به الناس في  
عصرنا ويقولون : إنه الأساس الأول لأى حضارة شامخة الذرا . وأردت أن  
تستشهد على مكانة هذا العلم في السنة . كما استشهدت من قبل على مكانته في  
القرآن ، فهنا - بعد أن جمعنا الأحاديث جلنا في رحاب السنة - نستطيع أن نصنفها  
في ضوء هذه العناصر :

- (١) الحث على طلب كل علم نافع ، والترغيب في التعلم والتعليم . وفي  
ذلك أحاديث كثيرة معروفة في مظانها لا تخفي على طالب العلم .
- (٢) محاربة الأمية بكل وسيلة مستطاعة حتى إنه - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - كان يفدى الأسير من  
قريش في غزوة بدر إذا علم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة .
- (٣) الحث على تعلم اللغات ، كما أمر بذلك زيد بن ثابت كاتب الوحي

(٤) استخدام أسلوب الإحصاء ، كما روى البخاري ومسلم عنه أنه طلب إحصاء بعدد المسلمين بعد الهجرة فأحصوا له ، فكانوا ألفاً وخمسمائة .

(٥) اقتباس أى علم يفيد الإسلام وأهله ولو كان من عند غير المسلمين ، كما رأينا في الاستفادة من أسرى بدر المشركين .. ويستأنس لذلك بحديث الترمذى وابن ماجه : « الحكمة ضالة المؤمن ، أى وجدها فهو أحق بها » وإن كان سنته ضعيفاً .

(٦) الخضوع لمنطق الملاحظة والتجربة في أمور الدنيا ، كما ظهر ذلك في موقفه من تأثير النسخ ، حيث أشار على أصحابه برأى . فأخذوا به ظانين أنه من أمر الدين والوحى ، فنبههم على أنه كان ظناً منه ، ولم يكن وحياً من الله ، قائلاً لهم : « أنتم أعلم بأمر دنياكم »<sup>(٣)</sup> .

(٧) التزول عند رأى الخبراء ، وأهل المعرفة ، كتزوله على رأى الحباب ابن المنذر في معركة بدر ، وعلى رأى سلمان في حفر الخندق .

(٨) الحملة على الدجل والخرافة ، والتحذير من الدجالين والمخربين مثل الكهان والعرافين والمنجمين والسحرة وأمثالهم ، رعاية لسنة الله في الخلق ، واحتراماً لشبكة الأسباب والمبنيات وفي ذلك أحاديث حة .

\* \* \*

### ● قيمة النية في الإسلام :

ونزيد الأمور وضوحاً بمثال آخر ، حول « النية في الإسلام » فإذا أردت أن تلقى الضوء على هذا الموضوع من خلال الأحاديث الشريفة ، بالإضافة إلى الآيات الكريمة ، يمكننا أن نعرض عناصره كما يلى :

١ - الإسلام يجعل النية معيار العمل ، ويهتم بالقلوب لا بالظاهر ، وبالباعث لا بالصورة - على عكس ما يفترى المبشرون - اقرأ « وجاء بقلب منيب »<sup>(٤)</sup> « بقلب سليم »<sup>(٥)</sup> « ليس البر أن تولوا وجوهكم »<sup>(٦)</sup> « لن ينال الله لحومها »<sup>(٧)</sup> وفي السنة « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم .. - إنما الأعمال بالنيات - وإنما لكل امرئ ما نوى » انظر قيمة هذا الحديث عند العلماء .

٣٣) رواه مسلم

(٤) سورة ق .

(٥) الشعراء : ٨٩ ، الصافات : ٨٤ (٦) البقرة : ١٧٧

(٧) الحج : ٣٧

٢ - النية الصالحة تجعل العادة عبادة ، والماح طاعة ، بل الشهوة قربة . وفي ذلك جملة أحاديث : « حتى في اللقمة يضعها في فم امرأته - وفي بُضع أحدكم صدقة - الخيل ثلاثة : فرس للرحم ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان » .. الخ <sup>(٨)</sup> .

٣ - النية المدخلة تحبط الطاعات والقربات كالهجرة والجهاد والإنفاق .. الخ « مهاجر أم قيس - من غزا في سبيل الله وهو لم ينبو إلا عقالا فله ما نوى <sup>(٩)</sup> . حديث الثلاثة المرائين : القارئ والمنفق والمجاهد ، أول من تسرع بهم النار يوم القيمة . »

٤ - صدق النية وحدها موجب للمثوبة :

(أ) فيثاب المرء على عمل نواف وإن لم يتممه « ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » <sup>(١٠)</sup> .

(ب) ويثاب المرء على عمل نواف وقع خطأ ، كما في حديث : « لك ما نويت يا يزيد ، ولك ما أخذت ما معن » <sup>(١١)</sup> .

(ج) ويثاب المرء على عمل نواف وإن لم يعمله أصلًا ، وقد ورد ذلك في أمور شتى .

.. في الجهاد : « إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا سعبا ولا واديا إلا وهم معنا ، حبسهم العذر » <sup>(١٢)</sup> .

.. في الشهادة : « من سأله الله الشهادة بصدق . بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراسته » <sup>(١٣)</sup> .

.. في قيام الليل : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » <sup>(١٤)</sup> .

.. في الإنفاق : « إنما الدنيا لأربعة نفر .. الخ الحديث الذي جعل المنفق في الخير والمتمنى بقلبه مثل عمله في الآخر سواء » <sup>(١٥)</sup> .

وبإزاء هذا . العقوبة على نية الشر والمعصية « إذا التقى المسلم بسيفيها .

(٨) الترغيب والترهيب - كتاب الجهاد (٩) رواه السائى

(١٠) النساء : ١٠٠ (١١) رواه البخارى

(١٢) رواه البخارى (١٣) رواه مسلم

(١٤) رواه البخارى وأحمد (١٥) رواه أحمد والترمذى وصححه

فالقاتل والمقتول في النار» - والحديث السابق الذي جعل المفق ماله في الشر ومعصية الله والمتمنى لعمله بقلبه ونيته مستوين كما قال في الحديث : «فهما في الوزر سواء» .

#### ٥ - بركة النية الصالحة :

(أ) معاوية الله «من أذان أموال الناس وهو يريد أداءها أدى الله عنه»<sup>(١٦)</sup> «إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم»<sup>(١٧)</sup> الآية من سورة التوبة .

(ب) نجاح العمل كما يشير إليه قوله تعالى : «إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينها»<sup>(١٨)</sup> الآية من سورة النساء . كما يؤيده حديث المتصدق على السارق والزانية والغنى حيث أتى في المنام فقيل له : «أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما صدقتك على زانية فلعلها تستعف عن زناها ، وأما صدقتك على غنى فلعله يعتبر فيتفق ما آتاه الله»<sup>(١٩)</sup> .

#### ٦ - لا تأثير للنية في أمرین :

أولا - المعاishi والمحرمات ، فحسن النية لا يجعلها طاعة ولا حلالاً ، كمن أكل الربا ليبني مسجداً «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»<sup>(٢٠)</sup> فالإسلام يريد شرف الغاية والوسيلة معاً ، ولا يقبل أن تصل إلى الحق بطريق الباطل .

ثانيا - العبادات والقربات التي لم يشرعها الله ، فليس لأحد أن يخترع أو بضيف شيئاً يتبعده ، وإن قصد الثواب ، ونوى القربة إلى الله ، وهذا أصل يهدم كل ابتداع في الدين ولهذا جاء في الحديث الصحيح المشهور : «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»<sup>(٢١)</sup>

\* \* \*

(١٦) رواه البخاري

(١٧) الانفال : ٧٠

(١٨) النساء : ٣٥

(١٩) رواه البخاري

(٢٠) رواه مسلم

(٢١) انظر في موضوع الابتداع في العبادة كتاب : «العبادة في الإسلام» فصل «لا يعبد الله إلا بما شرع» .

(ج) الخذر من وضع الأحاديث في غير موضعها :

وعلى الداعية كذلك أن يحذر من سوء الفهم ، للأحاديث الصالحة والحسان ، التي وردت بها كتب السنة ، وتلقاها علماء الأمة بالقبول ، فحرفها بعض الناس عن مواضعها ، وتأولوها على غير تأويلها ، ويعدوها بها عما أراد الله ورسوله .

من ذلك أحاديث لوت بعض الفرق أعتنتها ، لتأكيد بها مذاهبها ، وتعصب بها أفكارها فاتخذوا المذاهب أصلًا ، وجعلوا النصوص لها تبعا ، صنعوا ذلك مع القرآن - وصنعوا ذلك مع السنة ، وفلي سلمت فرقه من الواقع في هذه الورطة إلا من عصم ربك من أهل السنة وأنباع السلف .

وما وقع فيه القدماء سقط في مثله المحدثون ، فرأينا بعض الناس يتخذ من الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في قصة تأثير النحل - وهو قوله عليه السلام «أنتم أعلم بأمر دنياكم» - مستندا لعزل التشريع الإسلامي في المجالات الاقتصادية والسياسية ونحوها ، بزعم أنّ الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه فوض لنا تنظيم أمر دنيانا ، وشئون حياتنا بهذا الحديث .

والحديث إنما يقصد بأمر دنيانا : الشئون الفنية المتعلقة بالوسائل والكيفيات ، مثل شئون الزراعة والصناعة ونحوها ، مما ترك لعقول الناس واجتهادهم ، وإلا ما أنزل الله أطول آية في كتابه لتنظيم شأن دنيوي وهو كتابة الدين . وما جاءت مئات النصوص وألافها من الآيات والأحاديث تعلم علاقات الناس في حياتهم الدنيا من بيع وشراء وإجارة وهذه .. الخ .

ومن ذلك الأحاديث التي وردت فيما سماه العلماء «الفتن» وفساد أحر الزمان فبعضهم يفهم منها - أو يضعها موصعا يفهم منها - أن التردد عم ، وأن سيل الفساد قد طم ، وأن لا سبيل إلى الخلاص ، ولا أمل في إصلاح ، وأن الأمور لابد أن تسير من سوء إلى أسوأ ، ومن أسوأ إلى الأسوأ ، إلى أن تفوم الساعة . وطالما سمعت بعض المرشدين الدينيين يجمعون أحاديث الفتنة وأسرافها الساعة ، وما تناولها في نسق يوحى باليأس من أي عمل ، وينظر اليد من تكل محاولة للعلاج أو الإصلاح أو النصيحة للفساد ، وهذا ما رسم في أذهان كثير من العامة . بل بعض الخاصة . فإذا دعوتم للاسهام في عمل جماعي إنما نؤدي به

الجماعة فرض الكفاية الواجب عليها ، وتسقط به الإثم والخرج عنها ، شهروا في وجهك هذه الأحاديث !

ولعل أقرب مثل يذكر هنا حديث : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » وهو حديث صحيح رواه مسلم وغيره . فمن الناس من يتخذ من هذا الحديث سندًا وحججاً له في القعود عن واجب الدعوة إلى الإسلام وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويعارض به كل دعوة جادة لاستعادة حكم القرآن ، وإقامة دولة الإسلام

فهل يتصور أن الرسول الكريم قال هذا الحديث ، ليتباطئ عزائم أمهه عن الدعوة والعمل لدينهم ، وليطفئ جمرة الأمل في قلوبهم ؟

لا ، ثم لا . إنما أراد أن يحذرهم ليتبيهوا ، أو ينبههم ليحذرها .. إنه مثابة إشعال الضوء الأحمر علامة على الخطر ، حتى يتفادى السائرون السقوط في الخفر أو الاصطدام بالغير .

ولم يرد الحديث أبداً أن يغلق باب الأمل ، أو طريق العمل ، على أهل الخير . كيف ! وقد قال في آخر الحديث « فطوبى للغرباء » وفي بعض روایات الحديث عند غير مسلم : قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : « الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » (٢٢) .

ففي هذا دعوة صريحة إلى إصلاح ما أفسد الناس من منهج النبوة ، والعمل الجاد لرد الشاردين إلى الطريق المستقيم .

وفي حديث آخر : قيل : ومن الغرباء ؟ قال : الزّان من القبائل . أى الذين نزعوا عن أهليهم وعشيرتهم ، وهاجروا بأبدانهم ، أو بعقولهم وقلوبهم في سبيل الإسلام .

وفي حديث غيره قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال . « ناس صالحون قليل في ناس كثیر ، من يعصيهم أكثر من يطيعهم » .

هؤلاء الغرباء إذن ليسوا طائفة متربة منعزلة ، بل هم طائفة قاتمود على الحق ، يؤدون دور الصحابة في بدء نشأة الإسلام ، فقد كانوا عرباء ولم تنتهي

---

(٢٢) رواه الترمذى

غربتهم عن الدعوة والجهاد ، وإن كان من يعصيهم أكثر من يطاعهم .

فالقصد إذن بمثل هذا الحديث هو التنويه بالغرباء ، الذين يصلحون إذا فسد الناس ، ويصلحون ما أفسد الناس ، وحيث كل مسلم أن يكون واحداً من هؤلاء ، أو - على الأقل - يكون عوناً لهم ، إن لم يكن منهم ، فالحديث دعوة إلى البناء والإيجابية ، وليس إلى اليأس أو الفرار من الميدان ، بدعوى فساد الرمان .

نعيي زماننا والعيب فيها      وما لزماننا عيب سوانا !

ومن الأحاديث التي تذكر هنا ما رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وليتنزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفون في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

فالرسول عليه السلام حين ينبه الأمة في هذا الحديث إلى المؤامرات الدولية التي تحاك لها في المستقبل ، والتي كشف الله له الحجب عنها ، فأخبر عنها كأنه يراها رأى العين ، وكأنه معنا يعايشها - لم يقصد بذلك تيئيس الأمة من مقاومة كيد أعدائها ، بل أراد أن يلفتها إلى مؤامرات خصومها في الخارج وتكلفهم عليها ، لتلتفت هى إلى نفسها في الداخل ، وإلى عوامل الضعف التي تنخر في كيانها المعنوى ، رغم كثرتها العددية ، حتى تحاول التغلب عليها . فإن أول مراحل العلاج أن تعرف أسباب المرض .

على أن هناك أمراً يجب أن ننبه عليه دارس السنة في مواجهة أحاديث الفتن ونحوها ، وهو أن نرفع نحن في وجه المثبتين - الذين يضعون الأحاديث في غير موضعها - الأحاديث المبشرات ، التي تنير القلوب باشعة الأمل ، وقوة الرجاء ، في غد الإسلام ، ومستقبل المسلمين . ومن ذلك :

- ١ - ما رواه ابن حبان في صحيحه : « ليبلغن هذا الأمر (يعني هذا الدين) ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعزم عزيز ، أو بذل ذليل ، عزماً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر » .
- ٢ - ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ثوبان

مرفوعاً : « إن الله زوى لى الأرض (أى جمعها وضمها) فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيلغ ملکها ما زوى لى منها .. ». .

٣ - ما رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم وصححه<sup>(٢٣)</sup> عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل : أى المدينتين تفتح أولاً ، القدسية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصدقه له حلق ، قال : فآخر منه كتاباً ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أى المدينتين تفتح أولاً ، القدسية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولاً ! يعني القدسية . » ورومية هي « روما » عاصمة إيطاليا ، وهكذا كانت تلفظ كلاماً في معجم البلدان وقد فتحت الأولى وبقيت الثانية . ولن يختلف ما بشر به الصادق المصدوق .

٤ - ما رواه أبو داود والحاكم وصححه والبيهقي في المعرفة عن أبي هريرة مرفوعاً : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » قال الحافظ العراقي وغيره : سنده صحيح ، ولذا رمز السيوطى لصحته في الجامع الصغير .

٥ - ما رواه أحمد والترمذى عن أنس ، وأحمد عن عمار بن ياسر ، وعبدالرازق عن علي ، والطبرانى عن عبدالله بن عمرو - بإسناد حسن - مرفوعاً « مثل أمتى مثل المطر ، لا يدرى أوله خير أم آخره » أى كما أن لكل نوبة من نوبات المطر فائدتها في النهاء ، كذلك كل جيل من أجيال الأمة له خاصية توجب خيريته .

٦ - ما رواه أحمد والبزار عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فت تكون - ما شاء الله أن تكون ، تم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملکاً عاصياً - وفي رواية : عضوضاً : - يعني : فيه عض وظلم - فت تكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملکاً جبارياً - ملک فيه قهر وجبروت - فت تكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون

---

(٢٣) ووافقه الذهبي ، وحسن المقدسي إسناده في « كتاب العلم » وذكره الآلاني في الأحاديث الصحيحة أيضاً

خلافة على منهاج النبوة» . ثم سكت<sup>(٢٤)</sup> وقد تحقق جل ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث من الخلافة الراشدة ، والملك العضوض ، والملك الجبرى ، وبقيت الخلافة المنشودة الموعود بها ، وهى الخلافة على منهاج النبوة ، التي لم تتحقق بعد ، ولا بد أن تتحقق إن شاء الله ، ولكن يجب أن نعمل لتحقيقها وإيجادها ، وإنما توجد وفقاً لسဉ الله بعمل العاملين ، وجهود المؤمنين .

وثمت أحاديث أخرى كثيرة منها :

٧ - « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم . حتى يأْتِي أمر الله وهم ظاهرون للناس »<sup>(٢٥)</sup>

٨ - « لن ييرح هذا الدين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة »<sup>(٢٦)</sup> .

٩ - « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال »<sup>(٢٧)</sup>

١٠ - « ليدركن المسيح أقواماً إنهم لشلكم أو خير - ثلاثة - ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها »<sup>(٢٨)</sup> .

١١ - « بشر هذه الأمة بالسناء والدين ، والرفة والنصر ، والتمكين في الأرض »<sup>(٢٩)</sup> .

١٢ - « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله ، فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً »<sup>(٣٠)</sup> .

١٣ - « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيختبئ اليهودي وراء الحجر ، فيقول الحجر : يا عبد الله - أو يا مسلم - هذا يهودي ورائي فاقتله »<sup>(٣١)</sup> .

(٢٤) رواه أحمد والبزار باتم منه والطبراني ببعضه في الأوسط من حديث حذيفة بن اليمان ، قال في جمجم الروايد : ورجاله ثقات . وذكره الالبان في الأحاديث الصحيحة .

(٢٥) رواه أحمد والبخاري . (٢٦) رواه مسلم .

(٢٧) رواه أبو داود . (٢٨) رواه ابن أبي شيبة .

(٢٩) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي .

(٣١) رواه البخاري .

١٤- «لَوْلَمْ يَبْقَى مِنَ الدِّنِيَا إِلَّا يَوْمَ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ رَجُلًا مِّنِيْ . يَمْلأُ الْأَرْضَ عَدْلًا ، كَمَا مَلَّتْ ظُلْمًا وَجُورًا»<sup>(٣٢)</sup> .  
وَبَعْدَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كُلُّهَا لَا يُسْتَطِعُ قَاعِدُ أَنْ يَتَعَلَّلَ بِحَدِيثٍ أَوْ أَكْثَرَ جَاءَ فِي مَنْاسِبَةِ خَاصَّةٍ .

\* \* \*

● مقاومة حملة التشكيك في الأحاديث الصالحة :  
كما يجب على الداعية أن يكون واعيًا لحملات التشكيك التي شنها خصوم الإسلام من مبشرين ومستشرقين وملحدين على الحديث والسنّة . والتي أثرت - للأسف - في بعض من يتّمّون إلى الإسلام بأسمائهم وأنسابهم بمن عمل الغزو الفكري عمله في رؤوسهم ، حتى رأينا منهم من يطعن في كرام الصحابة ، ومن يشكك في دواعين السنّة الأصلية ، حتى صحيح البخاري نفسه ، ومن يرد الأحاديث الصالحة المشهورة اتباعاً للهوى . ومن يفسر الأحاديث على مزاجه هو ليتّخذ من ذلك وسيلة للطعن عليها ، والتشهير بها ، ومن يردد شبهات المستشرقين ترديد البيغواوات وهو لا يدرى ، ومن يرددتها وهو يعلم ويدرك .  
ولقد صادف هذا الغزو التبشيري الاستشراقي فراغاً ثقافياً ، وتخلفاً فكرياً بالنسبة للإسلام ومصادره وثقافته - فتمكّن وعشّعش وفرخ . وتطاول الجهل بعنقه ورأسه ليفرض نفسه على الأحاديث المتفق عليها ، المتلقاء بالقبول من الأمة ، ليردّها بجرأة وقحة .

حتى زعم بعضهم أن حديث «بني الإسلام على خمس» وهو من المعلوم في السنّة بالضرورة - حيث يحفظه الخاص والعام ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة - زعم هذا أنه من وضع المستعمرين (كذا) ولماذا؟ لأنّه لم يذكر الجهاد !  
ورد بعض آخر حديث «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيختبئ اليهودي وراء الحجر . فيقول الحجر : يا عبد الله - أو يا مسلم ، هذا يهودي ورائي . فتعال فاقتله» - وزعم هذا أن هذا الحديث يحذر المسلمين لأنّه يدفعهم إلى الانتظار حتى يتكلّم الحجر ليدل على اليهود . ونسى هذا أن كلام الحجر ليس بلازم أن يكون بلسان المقال ، بل ربما كان بلسان الحال ، ومعناه : أن كل ما في

---

(٣٢) رواه أبو داود

الكون سيكون في صالح المسلمين يومئذ ، بشرط أن يدخل كل منهم المعركة تحت راية الإسلام والعبودية لله ، بحيث ينادي يا عبد الله أو يا مسلم ! .

ورد ثالث حديث إلاته النبي القول وإظهار البشاشة لبعض الجفاة السفهاء مع قوله فيه قبل أن يلقاه : بئس أخو العشيرة . وإنما رده لظنه أن هذا من المداهنة أو النفاق ، ناسيًا أن هناك فرقاً بعيداً بين المداراة التي لا يستغنى عنها حكيم ، وبين المداهنة التي لا يلتجأ إليها إلا منافق أو ضعيف . فالمداراة أن تبذل دنياك لمصلحة دينك ، والمداهنة أن تبذل دينك لمصلحة دنياك .

ومن الكتب التي يستفاد منها في رد الحملة الاستشرافية التبشيرية على السنة وكشف زيفها ، وفضح عورتها :

- ١ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د . مصطفى السباعي .
- ٢ - السنة قبل التدوين د ... عجاج الخطيب .
- ٣ - الأنوار الكاشفة (في الرد على كتاب أبي رية) عبد الرحمن بن بحبي المعلمي اليماني .
- ٤ - الحديث والمحثون د . محمد أبو زهو
- ٥ - دفاع عن أبي هريرة . د . عجاج الخطيب .
- ٦ - دراسات في الحديث النبوي (باللغة الانجليزية) د . محمد مصطفى الأعظمي .
- ٧ - دفاع عن السنة . د . محمد أبو شهبة .

\*\*\*

● تجنب الأحاديث المشكلة على جهور الناس لغير ضرورة :  
أن يتتجنب الأحاديث التي تشكل على جهور الناس ، ولا تسيغها عقولهم وثقافتهم لأن لها تفسيرات وتأويلات قد لا يهضمونها ، وربما كانت أعلى من مستوىهم ، أو تغص بها حلوق بعضهم ، مثل : حديث الذباب ، أو حديث سجود الشمس كل يوم تحت العرش أو ما شابه ذلك من الأحاديث .

فليس من فقه الداعية أن يتلو على مسامع الناس هذه الأحاديث ، بغير ضرورة ، تقتضيها ، ولا مناسبة توجبها - بل الداعية الفقيه هو الذي يعني بالأحاديث التي لها صلة بواقع الناس ، ويتحرى البعد عن المتشابهات والمشكلات وما لا تبلغه عقول أوساط الناس .

قال الإمام النووي في «التفريغ» وهو يتحدث عن آداب المحدث مع تلاميذه في درس الحديث : وليجتنب ما لا تتحمله عقولهم وما لا يفهمونه .

وقال الإمام السيوطي في شرحة «التدريب على التفريغ» كأحاديث الصفات ، لما لا يؤمن عليهم من الخطأ والوهم والواقع في التشبيه والتجسيم <sup>(٣٣)</sup> .

فقد قال على : أتُجبن أن يُكذب الله ورسوله ؟ ! حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون .

وروى البيهقي في الشعب عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله ﷺ قال : إذا حدثتم الناس عن ربهم ، فلا تحدثوهم بما يغرس أو يشق عليهم قال ابن مسعود : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » <sup>(٣٤)</sup> .

قال الخطيب : ويجتنب أيضاً في روايته للعوام أحاديث الرخص ، وما شجر بين الصحابة والإسرائييليات . وهذا مع بعد الشاسع بين طلاب الحديث في زمانهم وعموم الناس في زماننا .

وقد نختلف مع السيوطي أو الخطيب في بعض ما مثل به ، ولكن المبدأ مسلم في ذاته وهو انتقاء ما يحدث به جمهور الناس ، فليس كل ما يُعرف يقال . وليس كل ما يقال لشخص يقال لغيره ، وليس كل ما يقال في بيئة يصلح أن يقال في غيرها ، وليس كل ما يصلح قوله في زمن يصلح في كل زمن ، بل يجب أن يراعى الداعية - كما يراعى المفتى بل أولى - تغير المكان والزمان والحال .

وحسينا في هذا الحديث الصحيح : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » <sup>(٣٥)</sup> وحاء عن الإمام مالك أنه قال : « اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون إماماً وهو يحدث بكل ما سمع » .

(٣٣) مراد السيوطي - فيما أحسب - لا تجمع الأحاديث المتفقة في الصفات ، وتكرر على أسماع عوام الناس بمناسة وغير مناسبة . فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقلها مجتمعة ، ولم يذكرها إلا مناسبتها .

(٣٤) رواه مسلم .

(٣٥) رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة

وروى البخارى عن أبي هريرة قال : حفظت من رسول الله - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ دعاءين : « فاما أحدهما فبنته فيكم ، وأما الآخر فلو بنته قطع هذا البلعوم » !

وحدث النبي ﷺ - حديثاً لمعاذ بن جبل وهو رديف له على ظهر حمار ، عن حق الله على العباد ، وحق العباد على الله - فقال له معاذ في اخره : أفلأ أبشر الناس ؟ ! قال : لا تبشرهم فيتكلوا ، ولم يخبر معاذ بهذا الحديث إلا عند موته ، تائماً - أى تحرجاً من كتمان هذا الحديث عن كل الناس ، فيموت بموته . والحديث في البخارى .

\* \* \*

● الخذر من الأحاديث الموضعية والواهية :  
كما يجب على الداعية أن يحذر من الأحاديث الواهية والمنكرة ، بل الموضعية .

وقد حذر علماء السنة من روایة الحديث الموضع ، إلا مع التنبيه عليه ، وبيان أنه موضوع ليحذر منه قارئه أو بسامعه ، قال المولوي : تحرم روایته مع العلم به في أي معنى كان - سواء الأحكام والفصوص والترغيب وغيرها - إلا مبيناً ، أي مقرؤناً ببيان وضعه ، وذلك لما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن سمرة بن جنادة مرفوعاً : « من حذر على بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » .

وقد تخصص هذه الأحاديث من علماء الأمة من كشف عوارها ، ووضع باطلها ، وفضح عورات الوضاعين والمزيفين ، وقد قيل للإمام عبد الله بن المبارك : هذه الأحاديث الموضعية ! فقال: تعيش لها الجهابذة

وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزي :

« لما لم يكن أحد أن يدخل في القرآن ما ليس منه ، أحد أقوام يربدون في الحديث رسول الله ، ويضعون عليه ما لم يقل ، فأنسأ الله علماء يربدون عن النقل ، ويوضخون الصحيح ، ويفضخون القبيح ، وما نخل الله منهم عصراً من الأعصار . غير أن هذا الصرب قد قل في هذا الرماد ، فصار اعياً من عنتاء مغرب !

وقد كانوا إذا عدوا قليلاً فعد صاروا أغر من العساكر

هذا كلام ابن الجوزي وقد توفي في أواخر القرن السادس سنة ٥٩٧ هـ ،  
فماذا يقول لو أنه عاش حتى شاهد عصرنا ؟ ! .

على أية حال لا ريب أن الأحاديث الواهية والموضوعة قد كدرت صفاء الثقافة الإسلامية ، ودخلت كثيرةً من فروعها ، وتسليت إلى كثير من الكتب ، في مختلف الفنون من التفسير والتتصوف والرقائق ، حتى كتب الفقه والأحكام ، وكثير من كتب الحديث نفسها . ومن ثم دخلت على كثير من الدعاة - وبخاصة ذوو الطابع الشعبي منهم - آفة الاستشهاد بهذا النوع من الأحاديث ، لما فيها من الغرائب والمبالغات التي ترضي أذواق العوام ، وتستل إعجابهم . وقلما أسمع خطيباً من خطباء الجمع ، أو مدرساً يدرس في مسجد ، أو محدثاً يحدث في الإذاعة ، إلا يروي حديثاً أو أكثر من هذه الأحاديث المردودة . . بل كثيراً ما أقرأ فيما تكتبه بعض المجلات ، بل فيما تحويه بطون بعض الكتب العصرية ، أحاديث تخالف العقول ، أو تباين النقول ، أو تناقض الأصول . وإذا لم تكن الأحاديث موضوعة ، وجدتها واهية واهنة كبيت العنكبوت .

وكثيراً ما يستند هؤلاء إلى ما اشتهر من أن الحديث الضعيف تخوز روايته في فضائل الأعمال والقصص والترغيب والترهيب ونحو ذلك .

ونحب أن ننبه هنا إلى عدة أمور :

الأول - أن هذا الرأى غير متفق عليه ، فهناك من الأئمة المعتبرين من رفض الأخذ بالضعيف في كل مجال ، سواء فضائل الأعمال وغيرها . وهو مذهب يحيى ابن معين ، وجماعة من الأئمة ، والظاهر أنه مذهب البخارى الذى دقق أبلغ التدقيق في شرائط قبول الحديث ، ومسيلم الذى شنع في مقدمة صحيحه على رواية الأحاديث الضعيفة والمنكرة ، وتركهم الأخبار الصحيحة . وهو الذى مال إليه القاضى أبو بكر بن العربي رأس المالكية في عصره ، وأبو شامة رأس الشافعية في عصره أيضاً . وهو مذهب ابن حزم وغيره .

الثان - أنه إذا وجد في الصحيح والحسن ما يتضمن المعنى المراد تعليمه أو التذكير به ، فلا معنى للجوء إلى الضعيف والواهى ، فقد أغنى الله بالجيد عن الردىء ، وقلما يوجد معنى ديني أو خلقي أو توجيهي لا يوجد في الصالحة والحسن ما يوفيه . ولكن قصور الهمم ، وضيق العطن ، وأخذنـ أى شيء يحيى

‘في اليد ، دون معاناة البحث والمراجعة ، جعل الناس يستسهلون روایة الضعيف بطلاق .

الثالث - أن الحديث الضعيف لا يجوز أن يضاف إلى النبي ﷺ بصيغة الجزم ، قال في التقريب وشرحه : وإذا أردت روایة الضعيف بغير إسناد ، فلا تقل : قال رسول الله ﷺ : كذا ، وما أشبهه من صيغ الجزم ، بل قل : رُوِيَ عنـه كذا ، أو بلغنا عنه كذا ، أو ورد عنه ، أو جاء ، أو نُقل عنه ، وما أشبهه من صيغ التمريض ، كروي بعضـهم . فـما اعتقدـه كثـيرـ من الخطـباءـ والـواعـاظـ بـتصـديرـ الأـحادـيـثـ الـضـعـيفـةـ بـقولـهـمـ : قالـ رسولـ اللهـ - أمرـ مرـدـودـ .

الرابع - أن العلماء الذين أجازوا العمل بالضعف في مثل الترغيب والترهيب لم يفتحوا الباب على مصراعيه لـكل ضعيف ، وإنما اشترطوا لذلك شروطاً ثلاثة : ١ - ألا يكون الحديث شديد الضعف .

٢ - أن يندرج تحت أصل شرعـى معمولـ بهـ ثـابـتـ بالـقـرـآنـ أوـ السـنـةـ الصـحـيـحةـ .

٣ - ألا يعتقدـ عندـ العملـ بهـ ثـبوـتـهـ عنـ النـبـيـ ﷺـ ،ـ بلـ يـعـتـقـدـ الـاحـتـيـاطـ .

ومن هذا يتـبـينـ أنـ أحدـاـ منـ علمـاءـ الـأـمـةـ لمـ يـفـتـحـ الـبـابـ عـلـىـ مـصـراـعـيـهـ لـروـاـيـةـ الأـحـادـيـثـ الـضـعـيفـةـ بـلـ قـيـدـ وـلـ شـرـطـ ،ـ بلـ اـشـتـرـطـواـ الشـرـوـطـ الـثـلـاثـةـ الـمـذـكـورـةـ ،ـ فـضـلـاـ عـنـ الشـرـطـ الـأـسـاسـيـ ،ـ وـهـوـ :ـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ فـضـائـلـ الـأـعـمـالـ وـنـحـوـهـاـ مـاـ لـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ حـكـمـ شـرـعـىـ .

وينبـغـىـ فـيـ رـأـيـ أـنـ يـضـافـ إـلـىـ هـذـهـ الشـرـوـطـ شـرـطـانـ آخـرـانـ :ـ ١ـ أـلـاـ يـشـتـملـ عـلـىـ مـبـالـغـاتـ وـتـهـوـيـلـاتـ يـجـهـاـ الـعـقـلـ أـوـ الـشـرـعـ ،ـ أـوـ الـلـغـةـ .ـ وـقـدـ نـصـ أـئـمـةـ الـحـدـيـثـ أـنـفـسـهـمـ أـنـ الـحـدـيـثـ الـمـوـضـعـ يـعـرـفـ بـقـرـائـنـ فـيـ الـرـاوـيـ أـوـ الـمـرـوـيـ .

فـمـنـ الـقـرـائـنـ فـيـ الـمـرـوـيـ ،ـ بلـ مـنـ جـمـلةـ دـلـائـلـ الـوـضـعـ :ـ أـنـ يـكـوـنـ مـخـالـفاـ لـلـعـقـلـ ،ـ بـحـيـثـ لـاـ يـقـبـلـ التـأـوـيلـ ،ـ وـيـلـحـقـ بـهـ مـاـ يـدـفـعـهـ الـحـسـ وـالـمـاـشـاـدـهـ .ـ أـوـ يـكـوـنـ مـنـافـيـاـ لـدـلـالـةـ الـكـتـابـ الـقـطـعـيـةـ أـوـ السـنـةـ الـمـوـاتـرـةـ ،ـ أـوـ الـإـجـمـاعـ الـقـطـعـيـ .ـ أـمـاـ الـمـعـارـضـةـ مـعـ إـمـكـانـ الـجـمـعـ فـلـاـ .ـ أـوـ يـكـوـنـ خـبـرـاـ عـنـ أـمـرـ جـسـيـمـ تـسـوـفـ الـدـوـاعـيـ عـلـىـ نـقـلـهـ بـمـحـضـ الـجـمـعـ ثـمـ لـاـ يـنـقـلـهـ مـنـهـ إـلـاـ وـاحـدـاـ .

ومنها : الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير ، أو الوعد العظيم على الأمر الحقير وهذا كثير في أحاديث القصاص .

وما يؤسف له أن كثيراً من المحدثين لا يطبقون هذه القواعد عندما يرثون في الترغيب والترهيب ونحوه . وربما كان لهم عذر من طبيعة عصرهم . أما عقلية عصرنا فلا تقبل المبالغات ، ولا تهضمها ، وربما تفهم الدين ذاته إذا ألقى عليها مثل هذه الأحاديث .

ومما تتجه اللغة : كثير من الأحاديث التي رواها بعض القصاص ، مثل دراج أبي السمع في تفسير كلمات من القرآن الكريم لها مدلولاتها الواضحة في اللغة ، فروى لها تفسيرات هي غاية في الغرابة والبعد عن المدلول اللغوي .

فمن حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً « ويل: واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » رواه أحمد والترمذى بنحوه إلا أنه قال : « سبعين خريفا » مع أن « ويل » كلمة وعيد بالهلاك معروفة قبل الإسلام وبعده .

ومثل ذلك ما جاء عند الطبرانى والبيهقى عن ابن مسعود من تفسير « الغى » في قوله تعالى « فسوف يلقون غياً »<sup>(٣٦)</sup> قال : « واد، جهنم » وفي رواية « نهر في جهنم » .

وكذلك ما رواه البيهقى وغيره عن أنس بن مالك في قوله تعالى « وجعلنا بينهم موبقاً »<sup>(٣٧)</sup> قال : « واد من قيح ودم » .

وأغرب منه ما رواه ابن أبي الدنيا عن شفى بن مانع : أن في جهنم وادياً يدعى « أثاماً » فيه حبات وعقارب .. إلى آخره يشير إلى قوله تعالى : « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً »<sup>(٣٨)</sup> .

وقد ذكر هذه الأحاديث الحافظ المنذري في كتابه « الترغيب والترهيب » .  
٢ - ألا تعارض دليلاً شرعياً آخر أقوى منها :

---

(٣٧) الكهف : ٥٢

(٣٦) مريم : ٥٩ .

(٣٨) الفرقان : ٦٨

مثال ذلك : الأحاديث الضعيفة التي رويت في شأن عبد الرحمن بن عوف : أنه يدخل الجنة حبواً بسبب غناه .

فقد يقال : إن مثل هذه الأحاديث تندرج تحت أصل التحذير من فتنة المال ، وطغيان الغنى ، ولكن يجب أن نذكر أنها تعارض أحاديث صحيحة جعلت عبد الرحمن بن عوف من العشرة المبشرين بالجنة ، فضلاً عن وقائع ثابتة ، وروايات مستفيضة ، تثبت أنه كان من خيار المسلمين ، وكمار المتقين ، وأنه يمثل الغنى الشاكر حقاً ، ولهذا توفي رسول الله ﷺ وهو عنم راض ، وجعله عمر في الستة أصحاب الشورى وجعل لصوته ميزة ترجيحية على غيره عند تساوى الأصوات .

ولهذا قال الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » : وقد ورد من غير ما وجه ، ومن حديث جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - يدخل الجنة حبواً لكترة ماله ، ولا يسلم أجودها من مقابل ولا يبلغ منها شيء بانفراده درجة الحسن ، ولقد كان ماله بالصفة التي ذكر رسول الله ﷺ : نعم المال الصالح للرجل الصالح ، فأنى تنقص درجاته في الآخرة ، أو يقصره دون غيره من أغنياء هذه الأمة ؟ - فإنه لم يرد هذا في حق غيره ، إنما صح سبق فقراء هذه الأمة أغنياءها على الإطلاق - والله أعلم » .  
\* \* \*

### ● من أين تتسرب الأحاديث الضعيفة إلى الدعاة ؟

إنما تتسرب الأحاديث الموضعية الساقطة إلى الدعاة ، لاعتمادهم على كتب لا تعنى بانتقاء الأحاديث التي توردها وغربلتها ، وربما لا تعزوها مجرد عزو إلى من خرجها من أصحاب الكتب الحديثية . مع أن هذا العزو لو حصل لا يكفي في معظم الكتب حيث لا يلتزم مؤلفوها الاقتصار على الصحيح أو الحسن .

فتري الأكثرين ينقلون من كتب الوعظ والتصوف والتفسير ونحوها ، ظانين أن هذا يغطيهم من البحث في درجاتها ، والاطمئنان إليها . بأن تكون على الأقل - في أدنى درجات القبول . أما كتب الوعظ والرقائق فأنصح لقارئها لا يعتمد عليها في نقل الحديث ، لأنها تجمع السمين والغث ، والجديد والرث ، ولا

(٣٩) الترغيب والترهيب ج ٥ ص ٣٠٨ ط . السعادة .

تدقق فيها تروى من أحاديث أو آثار ، أو قصص وأخبار ، بدعوى أنها لا يتعلّق بها حكم شرعى .

حتى حفاظ الحديث الناقدون إذا ألفوا في الوعظ وما يتعلّق به ترخصوا وتساهلوا إلى حد التفريط فيها يروونه في بعض الأحيان .

هكذا وجدنا الإمام ابن الجوزي صاحب «الموضوعات» و «العلل المتنائية» وغيرها يرخي لنفسه العان في كتابه «دم الهوى» وغلبت فيه عاطفة الوعظ على عقلية الناقد الحافظ . وكذلك الحافظ الذهبي رأيناه يتسلّل في كتابه «الكبائر» .

ونصيحتي لمن أراد أن يأخذ الحديث من كتب التفسير أن يرجع إلى ابن كثير ، فهو حافظ متقن ناقد ، يعني بتخريج ما يورده ، والتعليق عليه - غالباً - بالتوثيق أو التضعيف .

ومن أخذ عن «إحياء» الغزالى عليه أن يرجع إلى تخريج الحافظ العراقي لأحاديثه وهو مطبوع مع الإحياء ، ومراجعته ضرورية لكل قارئ للكتاب ، أو - ناقل عنه بعض ما أورد من حديث . وبذلك يعرف قيمة ما يأخذ من أحاديث . ومن أخذ من الترغيب والترهيب للمنذرى يجب عليه أن يقرأ مقدمته التي يبيان فيها أنواع الأحاديث التي يذكرها ، والمصطلحات التي يستخدمها لبيان درجاتها قوة وضعفا ، حتى لا ينقل الضعيف الشديد الضعف ، وهو يحسب أنه حسن أو صحيح ، بجهله باصطلاح صاحب الكتاب .

ومن أخذ عن «الجامع الصغير» للسيوطى ، أنصحه أن يراجع شرحه الكبير «فيض القدير» أو المختصر «التيسير» للمناوى ، ولا يكتفى بإشارات الجامع : ص للصحيح وح للحسن وض للضعيف - ، لكثرة ما أصابها من التحريف على يد النسخ أو الطابعين ، ولأن للشارح تعقيبات واستدراكات على صاحب الجامع ينبغي أن يتتفق بها . وقد قام العلامة الشیخ محمد ناصر الألبانى بفصل صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) عن ضعيفه وصدر كل منها في عدة أجزاء ، فخدم بذلك الكتاب وطالبي الحديث أيا خدمة .

ومن كتب السه التى ينبغي الاستفادة منها في هذا المقام ، ما ألف لتخريج أحاديث بعض الكتب المشهورة في فنونها ، من لا يلتزم أصحابها تخريج ما يروونه

سواء أكانت كتب تفسير مثل تخریج أحادیث «الکناف» للحافظ ابن حجر ، أو كتب تصوف مثل تخریج أحادیث «الإحياء» للحافظ العراقي ، أو كتب فقه مثل تخریج أحادیث «الهدایة» للحافظ الزبلاعی ، وأحادیث «الاحسار» للعلامة قاسم . وأحادیث شرح الرافعی الكبير لابن حجر المسمی «تلخیص الخبر»

ومن كتب السنة المهمة : ما يتعلّق بالأحادیث النائعة المستهله على السنن الناس وبيان من أخرجها ، ودرجتها من الصحة أو الحسن أو الضعف أو الوضع مثل «المقاصد الحسنة» للسخاوى ، و «نیز الطیب من الخیث» فيما يدور على السنة الناس من الحديث » .. لابن الدبیع النسیبی ، و «کشف الحفاء ومریل الإلباب» ، فيما اشتهر من الحديث على السنة الناس » للعجلونی ، وهو أجمعها وأوفاها ، وهو مرتب على حروف المعجم

ومن الكتب التي لا يستغنى عنها : كتب «الموضوعات» أى الأحادیث المختلفة المقتارة على رسول الله ﷺ : مثل «الموضوعات» لابن الحوزی ، «اللائے المصنوعة في الأحادیث الموضوعة» للسيوطی . و «تحذیر الخواص من أکاذیب القصاص» له ، و «المنار المنیف في الصحيح والضعف» لابن الفہیم . و «الموضوعات الكبرى» للشيخ على الفاری . و «الموضوعات الصغری» له أيضاً ، وهو المسمی «المصنوع في معرفة الموضوع» و «تنزیه الشريعة المرفوعة من الأحادیث الشنیعة الموضوعة» لابن عراق ، و «الفوائد المجموّعة في الأحادیث الموضوعة» - للشوکانی ، و «الأسرار المرفوعة» للكنوتی . و «الأحادیث الصعیفة والموضوعة وأثرها في الأمة» للألبانی .

\* \* \*

## الفقة

ولابد للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهية ، بحيث يعرف أهم الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأداب ، وما لم يعرفه أو يستحضره يكون قادرًا على مراجعة حكمه في مصادره ومظانه الموثقة . وذلك مهم للداعية من عدة نواح ل يستطيع أن يجيب السائلين عن الحلال والحرام وشئون العبادة والأسرة ونحوها ، مما يكثر الناس السؤال عنه ويلجأون عادة إلى الدعوة يلتسمون منهم الفتوى في ذلك . فمن لم يكن متضللاً من الفقه سكت أو تهرب ، وفي ذلك إضعاف لوقفه وتأثيره ، أو أفتى بغير علم ، وهذه هي الطامة كما في حديث الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ، ولكن يقبض العلم يقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اخذا الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

ثانياً : ليتمكنه تصحيح ما يقابله من أخطاء ، وتقويم ما يواجهه من انحرافات ، في ضوء الأحكام الشرعية ، فإذا رأى بعض البدع الفاشية أو المنكرات السائدة ، أو الأخطاء الدينية الشائعة ، واجهها بعلم وفقه ، لا بمجرد غضب وعاطفة . ومعنى هذا : أنه لا ينكر أمراً مجتهداً فيه بين الأئمة ، إلا إذا ترتب عليه منكر أكبر منه ، وقد حكى ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية إنكاره في المسائل الاجتهادية ، إلا في حدود معينة ، وكذلك ينبغي، لا ينكر المنكر أنه مر على قوم من التتار جلسوا يشربون الخمر ، فأنكر عليهم بعض أصحابه ، فقال : دعهم وما هم فيه ، فإن الله إنما حرم الخمر ، لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهو لاء تصدّهم الخمر عن سفك الدماء ، ونهب الأموال ! كما يسعي أن يقدم الأهم على المهم ، والكلى على الجزئى ، والفرض على النافلة .

ثالثاً : ليعمل على تعليم عطاته ودروسه بالأحكام المهمة التي يحتاج إليها الناس في وقتها ، فإذا تحدث مثلاً عن الزكاة أو الصيام أو الحج وغیرها ، لم يقتصر حديثه على عرض الترغيب والترهيب ، بل يحرص على إعطاء سامعه أو قارئه خلاصة الأحكام الأساسية لكل منها بأسلوب سهل قريب مقبول . وبذلك يستثير

الناس ، ويعرفون على أحكام دينهم بيسر وسهولة . فالداعي الساجح هو الذي يعظ الناس ويفقههم ، بحيث لا يطغى وعظه على ففهه ولا ففهه على وعظه .  
ونوصي الداعية هنا بعدة أمور :

١ - أن يحرص على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة ، وما أرسد إليه من اعتبارات أخرى . كالإجماع والقياس والاستصلاح والاسحسان وغيرها من أدلة ما لا نص فيه . ويعرفون الفقه بأنه معرفة الأحكام الشرعية المأخوذة من أدلتها التفصيلية . فلا فقه بلا دليل . على أن الدليل يكسو الحكم أو الفنون نوراً وجمالاً . ويمكنه هنا الانتفاع بكتب فقه الحديث ، مثل : « الأحكام » لابن دقيق العيد ، و « نيل الأوطار » للشوكاف و « سبل السلام » للصنعاني و « الروضه الندية » لصديق حسن خان وكتب الشيخين ابن نيمية وابن القيم وغيرها . ومثل ذلك : كتب الفقه التي تعنى بالدليل والترجيح ومناقشة الآخرين مثل : « المغني » لابن قدامة الحنفي و « المجموع » للنوفى الشافعى ، و « الاستذكار » لابن عبدالله المالكى ، و « المحل » لابن حزم الظاهري . و « الروض النضير » .

٢ - وإذا كان الداعية ملتزماً بمذهب من المذاهب الفقهية المتنوعة ، فلا يسعه هذا من التعرف على أدلة مذهبة ليطمئن قلبه ، ولا مانع من ترك المذهب في بعض المسائل التي يشعر بضعف أدلتها إلى مذهب يرى أنه أسعد بالدليل من مذهب ، وقد روى عن الأئمه المتبوعين جميعاً قوله : « إذا صاح الحديث فهو مذهب »  
ولا يجوز للداعية أن يدع السنن الصحيحة الصريحة بحججها نفيده تذهبها رأينا بعض خطباء الجمعة على المنابر يأمرون الدخول إلى المسجد بالجلوس إذا أراد هو صلاة ركعتين تحيى للمسجد . هذا مع ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم و صحيحه :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال . جاء سلك الغطافاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ - قاعد على المنبر ، فقعد سليك قبل أن يصل . فقال له النبي ﷺ : أركعت ركعتين ؟ قال : لا . قال : قم فاركعهما . . » الحديث ٤١٨ من مختصر صحيح مسلم للمنذري .

٣ - ويسعد بالداعية أن يتعرف على المذاهب الأخرى ، وبخاصية التي يسعها بعض من يدعوهـم : فإن كان مالكيا وهو في بيئة حبـلية ، أو كان حنـلـياً أو شـافـعـياً

وهو في بيئه حنفية ، أو العكس ، فينبغي له أن يلم بأهم ما يتميز به مذهب البلد عن مذهب ، حتى لا ينكر على الناس مالا يجوز أن ينكر .

فالشافعى المحصور في مذهب ، إذا حل في بيئه مالكية ، قد يستغرب من أهلها أنهم لا يتظرون من بول وروث ما يؤكل لحمه ، أو يرسلون أيديهم في الصلاة أو نحو ذلك ، فلا يتكلم في ذلك إلا وهو عالم بمذهب القوم وما حذه من الاستدلال .

ومثل ذلك الحصى الذى يحل في بلد شافعى أو حنفى : فيجد الناس يرفعون أيديهم عند الركوع ، وعند الاعتدال منه ، أو يمجدون يقرأون الفاتحة خلف الإمام ويرفعون - أصواتهم بالتأمين ، ولا يسلمون إلا بعد أن يفرغ الإمام من تسليمته الحج ، فقد يبادر إلى انكار ما عليه القوم ، وهو لا يعلم أن هذا هو مذهبهم الذى يتبعون على أساسه .

وأنصح الداعية أن يقرأ - على الأقل - كتابا في الفقه المقارن مثل «بداية المجتهد ونهاية المقتضى» لابن رشد .

٤ - ينبعى على الداعية أن يقتدى بالقرآن والسنّة في تعليل الأحكام ، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة ، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام ، حتى تقع من النفس موقع القبول .

وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحكم والمنافع من وراء العبادات ذاتها ، مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى ، كقوله في الصلاة : «وأقم الصلاة ، إن الصلاة تهى عن الفحشاء والمنكر»<sup>(١)</sup> وفي الزكاة «خذ من أموالهم صدقة تظهر لهم وتزكيهم بها»<sup>(٢)</sup> وفي الصيام : «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقوون»<sup>(٣)</sup> وفي الحج : «ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات»<sup>(٤)</sup> .

فإذا كان هذا في الأمور التعبدية ، فكيف بغيرها من المعاملات وشئون الحياة ؟

---

(١) العنكبوت : ٤٥

١٨٣ ) المقرة .

(٢) القويبة : ١٠٣

(٤) الحج : ٢٨ .

فهذا مطلوب في كل حين لكن طلبه في عصرنا ألزم ، وال الحاجة إليه أوكد ، لأن كثيرا من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم ، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل ، ورحم الله امرأاً عرف زمانه ، ونحاطب أهله بما يعرفون .

\*\*\*

### ● محدورات ينبغي التنبيه لها :

وأود أن أنبئ هنا في مقام تعلييل الأحكام إلى بعض المحدورات التي يتورط فيها بعض الدعاة . فمن هذه المحدورات :

### ● المبالغة في تعلييل العبادات :

المبالغة في تعلييل العبادات بأمور دنيوية ، وربطها بها ربط العلة بالعلول ، مع الغفلة عن حقيقة كبيرة يجب التنبيه عليها ، وهي أن العبادات مطلوبة طلب الغايات والمقاصد ، لا طلب الأدوات والوسائل ، فهى مراده لذاتها بغض النظر عنها وراءها من منافع وثمرات . بل هى الغاية من خلق المكلفين كما قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »<sup>(٥)</sup> بل المقصود الأول من خلق هذا العالم كله علوية وسفليه : أن يعرف الناس ربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا . كما قال تعالى « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثлен يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قادر وأن الله قد أحاط بكل شىء علىها »<sup>(٦)</sup> .

والمبالغة في هذا الجانب قد تؤدى ببعض الناس إلى أن يقول : إذا كان هدف العبادات تربية الضمائر ، وتنمية الأنفس ، وتحقيق الأخلاق : فعندها وسائل أخرى توصلنا إلى هذا الهدف . وقد يقول بعض آخر ما قاله بعض الفلاسفة من قبل .

\*\*\*

### ● التعلييل بأمر غير جامع ولا مانع :

ومن المحدورات أن يعلل الحكم الشرعى بأمر غير جامع ، بمعنى أنه لا

---

(٥) الداريات : ٥٦ .

(٦) الطلاق : ١٢ .

ينطبق على كل الحالات ، ولا مانع ، بمعنى أنه ينطبق على غير المعلل مما لم يأخذ حكمه .

مثال ذلك : تعليل تحريم لحم الخنزير بأنه يأكل القاذورات ، فقد يرد رأى بأن هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية ، أما الخنازير التي تربى في حظائر خاصة ، ويشرف عليها مختصون يعنون بأمرها ، فلا يتفق معها هذا التعليل .

وكذلك إذا قال قائل : إنما الخنزير ، لأن اعتياد أكله يورث فقدان الغيرة على النساء والحرمات ، كما هو مشاهد لدى الأوربيين الذين يدينون بال المسيحية ، فهذا التعليل قد ينقض بأن ذلك قد يكون مرد للبيئة والتربية أكثر من رده إلى لحم الخنزير ، بدليل أن النصارى في صعيد مصر وفي البلاد الشرقية عامة لا تنقصهم الغيرة .

كما أن اليهود في الغرب ، وهم يحرمون الخنزير ، يسلكون في أمر الغيرة ما يسلكه مواطنوهم من المسيحيين .

ونحو ذلك : أن تجعل علة التحرير ما اكتشف من ديدان شديدة الخطورة على صحة الإنسان كالدودة الشريطية أو الوحيدة . فقد قالوا : إن هذه الديدان توجد في لحوم الأبقار أيضا ، وقد أحل الشرع أكلها !

ولهذا لا تجوز للداعية المجازفة بالتعليق في مثل هذه الأمور ما لم يكن تعليلا ثابتا مطروحا في كل الأحوال ، تقوم عليه الأدلة العلمية الناصعة ، التي لا مطعن فيها .

وإلا فحسب الداعية أن يقول : إن الله لم يحل إلا طيبا ، ولم يحرم إلا حبيبا ، ولم يشرع شيئا إلا لحكمة ، علمنا من علمها ، وجهلها من جهلها ، وعدم العلم بها لا ينفي وجودها ، فإن علمنا أعجز من أن يحيط بكل حكمة الله تعالى في شرعيه أو في خلقه .

وإذا كان العلم الشرى بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن قد اكتشف في لحم الخنزير ديدانا خطيرة لم يكن يعلم أحد بها يوم قال القرآن في لحم الخنزير : إنه رجس . فما يدرينا ماذا سيكشفه العلم في الغد القريب أو البعيد ؟

على أن هناك حكمة جلية في إخفاء الله تعالى بعض حكمه وأسرار شرعه وخلقه عنا نحن المكلفين . وذلك ليتم الابلاء ، وتظهر حقيقة العبودية للخالق . ويعرف من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه ، ويتبين من يطيع ربها ، ومن لا يطيع إلا عقله ، فهنا مفرق طريق بين المؤمن وغير المؤمن .

والمؤمن يقول إذا ثبت الأمر أو النهى من ربها : « سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير »<sup>(7)</sup> فهم الحكمة الجزئية في هذا الأمر أم لم يفهم ، أدرك السر أم لم يدرك . حسبي أن يؤمن أن الله لا يأمره إلا بما ينفعه ، ولا ينهى إلا عما يضره ، ولو كان لا يتشاءل لأمر إلا لما يدرك عقله تفاصيل الحكمة فيه ، لكان حينئذ مطينا لعقله لا لربه .

أما غير المؤمن ، فلا يستبعد منه أن يأتيه الأمر فيقول : سمعنا وعصينا . وذلك لأنه لم يلتزم بحقيقة العبودية لله ، والطاعة لرسوله ، وإنما يقف من ربها موقف البند للند .

فعلى الداعية أن يتتبّع لهذا الجانب من علل الأحكام ، ولا يذكر منه إلا ما كان جامعاً ومانعاً ، وقام عليه البرهان ، وإلا عرض نفسه للاعتراضات من هذا وذاك ، ومن هنا وهناك .

وقد وقف أحد الدعاة يتحدث عن جريمة الزنا ، وهي إحدى الكبائر في الإسلام ، فحصر حكمة التحرير في منع اختلاط الأنساب .

وهنا قام له من يقول : لا حرج إذن على الحامل أن تزف ، ولا حرج على المرأة العقيم ، ولا على من تتناول أقراص منع الحمل ، إذ لا خوف على واحدة من هؤلاء أن تحمل وتلد ، حتى يحدث اختلاط الأنساب . بل المرأة الآيم - التي لا زوج لها بكر أو ثبيا - إذا اتخذت خدنا لها لا يباشرها غيره ، فإنها إذا حملت منه يكون نسب حملها معروفاً غير مختلط ولا مجهول .

ومن هنا كان الحذر واجباً في إلقاء هذا النوع من الحكم والتعليلات . فلا تقال للناس إلا بعد دراسة وثبتت ، وإلا اكتفى بالحكم الإجمالية العامة ، اقتداء بالقرآن في مثل قوله في تعليل النهى عن الزنا : « إنه كان فاحشة وساء سبيلاً »<sup>(8)</sup> .

٣٢ . (٨) الاسراء :

٢٨٥ (٧) البقرة :

ومثل ذلك القول بأن الربا إنما حرم ، لأنه استغلال حاجة الفقراء لمصلحة الأغنياء .

فهذا التعليل إنما ينطبق على صورة معينة من الربا ، عرفها الناس في كثير من الأزمان ولا يزالون يعرفونها إلى اليوم ، وهى صورة الإنسان الضعيف الذى تنزل به حاجة لنفسه أو لأسرته ، فلا يستطيع سدها إلا بالاستئراض والاستدانة ، ولا يجد من يقرضه إلا المراپى الغنى الذى يشترط عليه أن يعيد العشرة أحد عشر أو اثنى عشر أو أقل أو أكثر .

وهذه صورة محدودة تكاد تفرض .

ويكاد يكون الذين يستقرضون الآن من المصارف وبيوت المال هم الأغنياء وكبار التجار الذين يريدون أن يوسعوا تجاراتهم ، أو يزيدوا من ثرواتهم ، يستقرضون مئات الألوف بل الملايين ، لبناء العمارات الشاهقة ، أو استيراد السلع المربيحة .

وقد يودع بعض الناس من محدودى الدخل شيئاً مما يدخلونه بعد نفقاتهم لدى المصارف « البنوك » تعطىهم مقابل ذلك فوائد محددة ٥٪ أو أقل أو أكثر . فأخذ الفائدة . وبعبارة أخرى : آكل الربا . هنا هو الفرد الضعيف ومعطى الفائدة . ومؤكل الربا . هو المصرف . البنك . القوى الغنى المتمكن .

وهذا ما جعل بعض المشتغلين بالفقه في عصرنا - الذين حصرروا حكمة التحرير في أشرنا إليه ، يحترئون على القول بأن الفوائد في عصرنا ليست هي الربا الحرام ، لأنها في الصورة المذكورة . استفادة للفقراء من الأغنياء - أصحاب البنوك . وهذا كان لابد من تعليل آخر ، وتوجيه آخر . وأوجه التعليل هنا كثيرة تراجع في مظانها<sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

---

(٩) يراجع في ذلك على سبيل المثال ما كتبه في ذلك : د . محمد عبد الله دراز ، ومحمد أبو زهرة ، وسيد قطب ، رحمهم الله ، وما كتبه : أبو الأعلى المودودي<sup>١</sup> ود . عيسى عبده<sup>٢</sup> ود . محمد أبو السعود مد الله في أعمارهم وغيرهم من الكتاب المسلمين

## ● الاقتصر على التعليقات المادية :

من المحدورات في ذكر الحكم والعلل : الاقتصر على التعليل بالأمور المادية الحسية . وخصوصا فيما يتعلق بالعبادات الشعائرية ، كالوضوء والصلاة والصيام والحج ونحوها .

فالوضوء في نظر بعض الذين يتحدثون عن الإسلام أو يكتبون حكمته : النظافة ، والصلاة في نظر هؤلاء حكمتها : ترين الجسم على الرياضة والحركة واتباع النظام . والصيام في نظرهم إنما فرض لراحة المعدة شهر في كل عام . والحج في نظرهم ليس إلا رحلة كشفية ، للتدريب على احتمال المشاق .

وجهل هؤلاء إن مثل هذه التعليقات تفتح عليهم أبوابا لا يقدرون على إغلاقها . فقد يقول لهم قائل :

إنني أستطيع أن أحقق النظافة بغير الوضوء .

وقد يقول ثان : أنا أستطيع أن أمرن جسمى رياضيا بغير الصلاة ، بالتمرينات المنظمة المدروسة ، يشرف عليها مدربون فنيون .

ويقول ثالث : إنني قادر على إراحة المعدة بغير الصيام .

ويقول رابع : إنني أستطيع أن أقوم برحلات كشفية أتدرب فيها على المشقات ، ولكن بغير الحج إلى بيت معلوم في زمن معلوم .

وهكذا ، تكون هذه التعليقات - إذا لم تصنع صياغة دقيقة حكيمه موزونة سلاحا في أيدي الذين يريدون أن يتفلتوا من تكاليف الدين وشعائره .

وأولى بنا أن نهيج نهج القرآن في إعطاء الأولية والأولوية للتعليق بالأمور الدينية الروحية .

- ففي الصلاة يقول : « واقم الصلاة لذكرى »<sup>(10)</sup>

« واقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر »<sup>(11)</sup>

---

(10) طه : ١٤ . (11) العنكبوت : ٤٥ .

أى ان اشتمال الصلاة على ذكر الله أكبر وأعظم من نهيتها عن الفحشاء والمنكر .

- وفي الصيام يقول :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » <sup>(١٢)</sup> .  
فجعل التقوى هي الغاية أو الشمرة من الصيام .

- وفي الزكاة يقول :

« خذ من أموالهم صدقة تطهيرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم . ألم يروا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم » <sup>(١٣)</sup> .

فحكمة الزكاة هنا - وهي فريضة مالية - حكمة نفسية روحية : تطهير وتنزكية ، ودعاة وسكونية ، وقبول من الله الذي يأخذ بيديه الصدقات .

- وفي الحج يقول :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويدركوا اسم الله في أيام معلومات » <sup>(١٤)</sup> .  
والمนาفع المشهودة المذكورة في الآية الكريمة أوسع وأعمق من أن تقتصر على الجانب المادي وحده . كيف وقد جاء في الحديث : « إنما جعل الطواف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، لإقامة ذكر الله » <sup>(١٥)</sup> .

- وفي الهدى والذبائح يقول :

« لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لنكروا الله على ما هداكم » <sup>(١٦)</sup> .

---

(١٢) البقرة : ١٨٣ . (١٣) التوبه : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(١٤) الحج : ٢٧ ، ٢٨ .

(١٥) رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ونوزع في ذلك كما في التيسير

للمناوي . (١٦) الحج : ٣٧ .

وأكثر من ذلك نجد القرآن الكريم حين يعلل للنواهى التي نهى الله عنها - وكثير منها يتعلّق بنواهٍ اجتماعية واقتصادية - لا يعني إلا بإبراز الجانب الديني الذي يشمل كل الأحوال ، ويعم كل الأشخاص في كل الأوقات ، وكل البيئات .

وذلك مثل قوله في النهى عن الخمر إنها « رجس من عمل الشيطان »<sup>(١٧)</sup> .

ثم يذكر تعليلاً آخر فيقول : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة »<sup>(١٨)</sup> .

فلم يهتم بذكر أضرارها على الجسم والعقل ، وإن كان ذلك معروفاً غير منكوح ، حتى لا يقول قائل : إنما أشربها بقدر ، أو بعد استشارة الطبيب أو نحو ذلك .

وقوله تعالى في تعليل النهى عن التبذير : « ولا تبذير تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً »<sup>(١٩)</sup> .

وفي تعليل النهى عن قتل الأولاد : « إن قتلهم كان خطئنا كبيراً »<sup>(٢٠)</sup> .

وفي تعليل النهى عن قربان الزنا : « إنه كان فاحشة وساء سبيلاً »<sup>(٢١)</sup> .

وفي تحريم الاستقسام بالأذلام « ذلكم فسق »<sup>(٢٢)</sup> .

وفي تحريم أكل أموال اليتامي « إنه كان حوباً كبيراً »<sup>(٢٣)</sup> .

وينبغي أن يكون هذا هو منهج الداعية في تعليل الأوامر والنواهى إذا كان خطابه مع المؤمنين بالإسلام ، فحسبه أن يشير إلى أن فعل هذا الأمر يجلب رضا الله ومثويته ، وأن اجتناب ذاك يجلب سخط الله وعقوبته . وهذا يكتفى القرآن هنا بأن يقول للمؤمن : إنه رجس ، أو فسق ، أو خطأ ، أو حوب كبير ، أو فاحشة أو سهل سوء .

\* \* \*

---

(١٨) المائدة : ٩١ .

(١٧) المائدة : ٩٠ .

(٢٠) الأسراء : ٣١ .

(١٩) الأسراء : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٢) المائدة : ٣ .

(٢١) الأسراء : ٣٢ .

(٢٣) النساء : ٢ .

## ● علم أصول الفقه :

ولابد للداعية أن يلم بعلم أصول الفقه حتى يعرف الأدلة المتفق عليها بين فقهاء الأمة وهي الكتاب والسنة ، والتي اتفق عليها جمهورهم وهي : الإجماع والقياس والتي اختلفوا فيها بعد ذلك بين مثبت وناف ، ومضيق وواسع ومتوسط ، وهي أدلة ما لا نص فيه ، من الاستحسان ، والاستصلاح ، والاستصحاب ، وشرع من قبلنا ، وقول الصحابة ، وما إلى ذلك مما تفرق في وجهات النظر ..

وإذا كان الكتاب والسنة هما الأصلين والمصدرتين الأساسيتين ، فكيف تستنبط منها الأحكام ؟ ومن يجوز له الاستنباط أو يجب عليه ؟ ومن يحل له التقليد أو يحرم عليه ؟

هنا نجد مسائل كثيرة بعضها اتفقوا عليه وبعضها اختلفوا فيه « ولكل وجهة هو مولىها » . ولابد للداعية أن يعرف الراجح من المرجوح ليأخذ بالراجح ، ويعذر الأخذين بالمرجوح ، أو يقنعهم إذا استطاع .

وليس من الضروري للداعية أن يقرأ المطولات في الأصول فهذا شأن المتخصص . وحسبه أن يقرأ ما يعطيه فكرة ملائمة مثل « جنه الناظر » لابن قدامة أو « إرشاد الفحول » للشوكاني وهو أوسع ، أو كتاباً حديثاً مثل « أصول الفقه » للحضرى أو « علم أصول الفقه » لخلاف وهو كتاب جيد مفهوم . ويجعل بالداعية تتمة لهذا أن يعرف نبذة عن تاريخ الفقه الإسلامي ونشأة المذاهب وتطورها . وغلبة الجمود والتقليد على الاجتهاد والاستنباط في الأعصر الأخيرة ويكتفى في هذا « تاريخ التشريع الإسلامي » للحضرى أو « خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي » لخلاف .

\* \* \*

## ● علم العقيدة :

ولا نريد بدراسة العقيدة دراسة منظومات المتأخرین في علم التوحيد وشروحها مثل الجوهرة أو الخريدة ونحوهما ، ولا دراسة العقائد النسفية وما يتبعها من شروح وحواش ، ولا دراسة المطولات الكلامية مثل شرح المقاصد أو شرح المواقف وما شابهها فلم يعد كثير من مباحث هذه الكتب يحتاج إليه العقل المعاصر

هذا بالإضافة إلى أن المباحث الكلامية - على عمومها وبعث المذهب في فهسمها وأسنيعابها - لا تكون عقيدة - كل مهسمها الدفاع عن عقيدة تكون بالفعل ، ورد التبيهات عنها . وأكثر من ذلك أن مباحث علم الكلام قد تأثر بالمنقد اليوناني ، والأسلوب اليوناني في معالجة نئون العضده .

وهذا هاجم أئمه السلف علم الكلام وأهله ، وسددوا الحملة عليه

هذا نريد من دراسة العضد، مراعاه مابلي

١- أن يكون كتاب الله تعالى ، وما بيته من صحيح السنّة ، هو المصدر الفد للعقيدة المنشودة ، بعيداً عن التسوّب والزوائد والفضول ، التي لحقت بها على مر العصور وهذا تبقى العقيدة على صفاتها ووصوتها وساحتها . ولا نحمل آراء مدرسة معينة أصلاً بحمل العرائض عليه ، ونحر الآيات لما فيه

٢- أن تتبع منهج القرآن في مخاطبة العقل والعلم معاً من أجل تحسين الإيمان الصحيح ، فبناء العقيدة على العقل وحده كما هو الحال العلاسنه ، أو على القلب وحده كما هو الحال الصوفية ، لا يتفق مع شمول المنهج الإسلامي الذي يقوم الإيمان فيه على اقتناع العقل ، وانفعال القلب ، وصدق الإرادة

٣- الاهتمام بأدلة القرآن التي ذكرها لإثبات معنقداته ، وإثبات مدعوه ، والرد على خصومه ، وتفنيد ما يثرون من شبهاه ومغزيات . منها أدلة العرائض على وجود الله التي أشار إليها مثل ابن رشد في « منهاج الأدلّة » والعقائد في « الله » ، والجسر في « قصة الإيمان » وغيرهم . وكذلك أدلة على التوحيد ، وعلى البعث وعلى نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وكلها أدلة عقلية برهانه حَسِنَهُ ، وليس خطابية أو إقتصادية كما وهم بعض المتكلمين

٤- صرف الهمة إلى مشكلات العقل المعاصر ، والاسعالي يتصدر العناية الكبرى مثل : وجود الله تعالى ، توحيده ، البرة ، الحياة الأخرى ، العدالة ، اهم المشكلات التاريخية مثل : حلقة القرآن أو الصفات وعلاقتها بالذات : هنا يتم

عين أم غير أم لا عين ولا غير الخ . فينبغي أن تدرس كتاریخ للفکر الإسلامي ، ولا نتفق فيها من الوقت والجهد ما نحن في حاجة إليه لمواجهة معضلات زماننا .

٥ - الاستفادة من ثقافة العصر ، وخصوصاً في ميادين العلوم البحتة كالفلك والطب والفيزياء وغيرها - لتأييد قضيائنا العقيدة وتشييئها . كما فعل ذلك كثير من المؤلفين في زماننا من الأجانب وال المسلمين مثل صاحب « العلم يدعوا إلى الإيمان » وأصحاب « الله يتجلى في عصر العلم » وصاحب « قصة الإيمان » ومؤلف « الله والعلم الحديث » و « الإسلام يتحدى » ... وغيرها .

٦ - أن نبني طريقة السلف في وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحرير ولا تعطيل . وهي الطريقة التي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم ، مثل أبي الحسن الأشعري في « الإبانة » والغزالى في « إيجام العوام عن علم الكلام » والفارخر الرازى في « أقسام اللذات » حيث يقول فيه : « لقد تأملت المذاهب الفلسفية ، والطرق الكلامية ، فلم أرها تشفى عليلاً أو تنفع غليلاً . ورأيت خير الطرق طريقة القرآن : أقرباً في الإثبات « الرحمن على العرش استوى » وأقرباً في النفي « ليس كمثله شيء » . ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي » .

٧ - نتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوخين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم ، والرد عليها رداً علمياً فكرياً بلسان العصر .

\* \* \*

### ● التصوف :

التصوف هو العلم الذي يبحث في الجانب الأخلاقي والعاطفي من الثقافة الإسلامية .

ولا ينكر الدارسون أن التصوف قد أثرت فيه - إلى حد ما - عوامل أجنبية : مسيحية أو هندية أو فارسية أو يونانية إلى جوار العوامل الإسلامية أيضاً ، وأنه قد دخلت فيه على مر الأزمان - أفكار غريبة من شتى المصادر المذكورة أو غيرها . حتى انتهى بعض أنواع التصوف إلى القول بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود<sup>(٢٤)</sup>

---

(٢٤) انظر : فصل « التصوف الفلسفى » من كتاب « مدخل إلى التصوف الإسلامي » للأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى ص ٢٢٧ وما بعدها .

وكان بعضهم كلام عن «قدم النور المحمدى» أو ما يسمونه «الحقيقة المحمدية» وكلام عن الولاية والأولياء وعن الكشف والماجید والأذواق وتحكيمها في النصوص الدينية ، وتفرقهم بين الحقيقة والشريعة ، و التربية المرید أن يكون بين يدى الشیخ کالمیت بين يدى الغاسل ، وغلوهم في الزهد وما يتعلّق به إلى حد يخرج عن وسطية الإسلام إلى رهbanیة النصارى .

لهذا ولغیره ، وقف كثیر من الحريصین على التمسك بالسنة موقف الریبة بل الخصومة ، من التصوف وتراثه ورجاله ، وأعلن بعضهم حربا على التصوف کله ، قدیمه وحدیثه ، سنیه وبدعیه ، وحمله أوزار كل الانحرافات الفكریة والسلوکیة التي ابتلی بها المسلمون في القرون الأخيرة . وبالتألی دعا إلى نبذ هذا التراث وهجره خشیة ما يتخلله من مفاهیم لا تتلاءم مع الإسلام، والذی نرید أن نؤکد عليه هنا :

أولاً - أن التصوف الفلسفی کله مرفوض من أساسه ، وإذا درسناه فإنما ندرسه لنرد عليه ونبين فساده ومنافاته للإسلام . ونرید بالتصوف الفلسفی : القائم على فكرة «الحلول» و «وحدة الوجود» .

ثانياً - أن الذی يعنينا من التصوف هو الجانب الأخلاقی والتربوی ، وهو الذی قال فيه ابن القيم في «المدارج» : «اجتمعت كلمة الناطقین في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق» وعبر عنه الکنان بقوله : «التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف .»

ثالثاً - أننا يجب أن ننتقى من التصوف ما يخدم العقيدة الإسلامية . والأخلاق الإسلامية . وندع كل ما فيه شائبة أو ريبة ، وننفع في ذلك بمن نقد الصوفیة مثل ابن الجوزی في «تلبیس إبليس» وغیره .

كما نرى أن من الإنصاف أن نبین أن في التراث الصوفی - على ما فيه من مآخذ - فوائد لاتنکر منها :

١ - أنه يجمع كثيراً من أقوال الصالحين ، وحكم الزهاد والعبد وأهل التقوی والبصیرة .

٢ - أن فيه لفتات روحية مشرقة في فهم الآیات والأحادیث والتعليق عليها لا توجد عند غيرهم ..

٣ - أن الصوفية - حين عنى الفقهاء بأحكام الظاهر المحس ، والمتكلمون بالجانب العقلى الجاف - عنوا هم بأحكام الباطن ، ودراسة آفات النفوس ، ومداخل الشيطان إليها ، وكيفية وقايتها وعلاجها . ولهن في ذلك من الممارسات والتجارب والمعارف - ماليس لطائفة غيرهم .

٤ - أن في أقوالهم حرارة وحيوية يلمسها قارئها ، ولعل ذلك نتيجة المجاهدة النفسية والرياضية الروحية التي يعانونها ، وليست النائحة كالثكل .

٥ - أن الصوفية الأوائل الذين وضعوا أسس التصوف ومهدوا طريقه ، رفضوا كل محاولة لإخراجه عن الشرع ، وأبوا إلا تقييده بالقرآن والسنة . قال سيد الطائفة « الجنيد » من لم يقرأ القرآن ، ويكتب الحديث ، لا يقتدي به في هذا الأمر ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة . وقال : مذهبنا مقيد بأصول الكتاب والسنة . وكذلك جاء عن أبي حفص والداراني وأبي الحواري والسرى السقطى وغيرهم ، كما نقله عنهم القشيرى وغيره<sup>(٢٥)</sup> .

٦ - أن من أئمة الدعوة السلفية من تكلم في التصوف وألف فيه ، ورد على باطله ، وأشاد بما فيه من حق ، كما يتضح ذلك في رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ، مثل « العبودية » و « التحفة العراقية في الأعمال القلبية » ورسالة « الفقراء » وغيرها من الفتاوى والرسائل والبحوث ، التي ظهرت في مجلدين من جموع فتاويه ، أحدهما تحت عنوان : « التصوف » . والثانى تحت عنوان : « السلوك » وكذلك مؤلفات تلميذه المحقق العلامة ابن القيم في ذلك وهى كثيرة منها : طريق الهجرتين ، وعدة الصابرين ، وذخيرة الشاكرين ، والداء ، والدواء ، وأعظمها : « مدارج السالكين شرح منازل السائرين » في ثلاثة مجلدات وفيه وزن علوم القوم بميزان الكتاب والسنة .

\* \* \*

### ● النظام الإسلامي :

ومن أهم ما ينبغي للمداعية أن يدرسه دراسة وعى وهضم : النظام الإسلامي ، أو نظام الإسلام ، أو المذهبية الإسلامية ، أو فلسفة الإسلام .

---

(٢٥) انظر : مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٦٤ وما بعدها ط السنّة المحمديّة .

ونعني بهذا دراسة الإسلام خالصاً غير متسبباً، متكاملاً غير مجزأ..  
الإسلام باعتباره مذهبًا متميّزاً، ونظاماً كاملاً للحياة: الحياة الفردية، والحياة  
الاجتماعية، والحياة المادية، والحياة المعنوية. ولا يغنى عن هذه الدراسة  
للإسلام المتكامل دراسة العلوم الإسلامية من التفسير وال الحديث والفقه والتوحيد  
ونحوها، لأنها لا تعطى نظرة عامة للإسلام كله، وإنما تعطى نظرات منفرقة  
لجانب منه، كل على حدة، دون إحكام الربط بينها.

وان الخطأ على فهم الإسلام فهــما صحــحا يــمثل في عــدة أمــور يــجب التــحرــز منها :

١ - أن يزداد عليه ، وينقص به ما ليس منه من رواسب الديانات السابقة ، وثنية ومحرفة . وشوائب التحلل والمذاهب ، شرقية وغربية ، وذلك بعد أن أكمله الله للأمة وأتم عليها به النعمة : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا»<sup>(٢٦)</sup> والكامل لا يقبل الزيادة كما لا يقبل القصص . وهذا شدد الرسول ﷺ التحذير من الإحداث والابتداع في الدين .

٢ - أن ينقص منه ما هو من أجزاءه وصلب كيانه ، أو يؤخذ بعضه دون بعض ، كما فعل بنو إسرائيل بدينهم ، آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض . وفي عصرنا قامت محاولات لتجزئة الإسلام ، أو إهدار بعض تعاليمه ، كالذين ي يريدون الإسلام عقيدة بغير شريعة ، أو دينا بلا دولة ، أو صلاة بدون زكاة ، أو سلاما بلا جهاد ، أو زواجا بلا طلاق ... الخ . والإسلام وحدة لا تقبل التجزئة والتفكيك « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » (٢٦١)

٣- أن تشوّه تعاليمه في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق ، أو التشريع ، فتعرض على غير حقيقتها مسوقة بحافة ، بفعل الجهل أو الهوى ، مما سوهت فكرة القضاء والقدر في العقيدة ، أو فكرة الحاج في العبادة ، أو فكرة الزهد في الأخلاق ، أو فكرة الطلاق وتعدد الزوجات وضرب الزوجة الناشر في نظام الأسرة ، أو فكرة الجهاد في نظام الدولة ، وفكرة الحدود في نظام العقوبات .

٤- أن يختل التوازن بين قيمه وتعاليمه ، فيعطي بعضها دون حقه ، ويأخذ ببعضها

الآخر أكثر من حقه ، ويقدم ما يستحق التأخير ، ويؤخر ما يستحق التقديم . مع أن الإسلام قد أعطى كل عمل من الأعمال ، وكل واحد من تعاليمه قيمة و «سراً» خاصاً ، فلا توضع الفروع موضع الأصول ، ولا تحتل المواقف مكان الفرائض ، ولا تقدم أعمال الجوارح على أعمال القلوب ، ولا تؤثر القربات الفردية القاصرة على العبادات الاجتماعية المتعددة ، بل يوضع كل شيء في مرتبته الشرعية دون غلو ولا تقصير ، وإلا اضطربت المعايير وقدم ما حقه التأخير .

ومن هنا ينبغي عند دراسة النظام الإسلامي أو الكتابة تفادى هذه الأخطاء الأربع : من الزيادة فيه ، أو النقص منه ، أو التشويه له ، أو الإخلال بتوازنه . وينبغي إذن أن يدرس النظام الإسلامي ، وإن شئت قلت : يدرس الإسلام على هذه الصورة :

(أ) خالصاً مصفي من الشوائب والفضول والزيادات التي ألصقت به على مر العصور . ويجب العودة إلى نقاء الإسلام الأول : إسلام القرآن والسنّة ، إسلام الصحابة وتابعهم بإحسان - قبل أن تظهر الفرق ، وتطرأ البدع ، وتتفاقم الفتن .

(ب) شاملًا متكاملاً ، غير مبتور ، ولا مجزأ ، ولا مخدوف منه ، بعثاته وتصوراته ، بشعائره وعباداته ، بأخلاقه وآدابه ، بنظمه وتشريعاته : الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمدنية والجنائية ، مع وجوب الربط بينها ، وشدها جمياً إلى أصل أصولها وأسس بنائها ، وهو توحيد الله تعالى .

(ج) سليماً كاملاً - مبرأ من تشويه المشوهين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية للإسلام ، مع العناية بتوثيق الدليل ، وحسن التعليل ، والاهتمام ببيان خصائص الإسلام : ربانيته ، إنسانيته ، شموليته ، وسطيته ، واقعيته - الخ .

(د) متوازناً متسقاً واضحاً التقسيم ، محدد المفاهيم ، مرتب التعاليم ، بحيث يقدم فيه الأهم على المهم - والمهم على غير المهم ، وتوضع مبادئه وأحكامه في مراتبها الشرعية : العقيدة قبل العمل ، والعبادة قبل المعاملة ، والفرائض قبل المواقف ، والكبار قبل الصغار ، والأركان قبل غيرها .

وينبغي أن يستفاد من كتابات المعاصرين من رجالات الفكر الإسلامي في أنحاء العالم الإسلامي وذلك في المجالات الأساسية للنظام الإسلامي - ونشرع لذلك بعض الكتب على سبيل المثال لا الحصر . وإن كان كل بشر يؤخذ من كلامه ويترك إلا المقصود بكتاب .

## أولاً - في مجال العقيدة والأسس الفكرية :

- ١ - مبادئ الإسلام : أبو الأعلى المودودي .
- ٢ - العقائد الإسلامية . حسن البنا .
- ٣ - حصائر التصور الإسلامي : سيد قطب .
- ٤ - قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقرآن : نديم الجسر .
- ٥ - نظام الإسلام . العقيدة والعبادة : محمد المبارك .
- ٦ - الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان .
- ٧ - الله جل جلاله : سعيد حوى .
- ٨ - الرسول ﷺ : سعيد حوى .
- ٩ - حقائق الإسلام وأباطيل حصومه : عباس العقاد .
- ١٠ - عقيدة المسلم : محمد الغزالى .
- ١١ - الإيمان والحياة : د. يوسف القرضاوى .

## ثانياً - في مجال العبادة والشعائر :

- ١ - الأركان الأربعة : أبو الحسن الندوى .
- ٢ - العبادة في الإسلام . د. يوسف القرضاوى .

## ثالثاً - في مجال الأخلاق :

- ١ - ربانية لا رهبانية : أبو الحسن الندوى .
- ٢ - خلق المسلم : محمد الغزالى .
- ٣ - دستور الأخلاق في القرآن : محمد عبدالله دراز .

## رابعاً - في مجال التشريع والنظام الاجتماعي :

- ١ - العدالة الاجتماعية في الإسلام : سيد قطب .
- ٢ - خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي : محمود أبو السعود .
- ٣ - منهاج الإسلام في الحكم : محمد أسد .
- ٤ - نظام الاقتصاد : محمد المبارك .
- ٥ - الحكم والدولة . محمد المبارك .
- ٦ - الاقتصاد الإسلامي - مدخل ومنهاج : عيسى عبده إبراهيم .
- ٧ - الفكر الإسلامي المعاصر (الحكم والمجتمع) : د. محمد البهى .
- ٨ - الفكر الإسلامي المعاصر (الأسرة والتكافل) : د. محمد السهى .

- ٩- الإسلام والأوضاع الاقتصادية : محمد الغزالى .
- ١٠- الإسلام المفترى عليه : محمد الغزالى
- ١١- اشتراكية الإسلام : د. مصطفى السباعى
- ١٢- الثروة في ظل الإسلام : البهى الخولي
- ١٣- فقه الزكاة : د. يوسف القرضاوى
- ١٤- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام : د. يوسف القرضاوى
- ١٥- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي : د. يوسف القرضاوى
- ١٦- التشريع الجنائى الإسلامي : عبدالقادر عودة .
- ١٧- الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت
- ١٨- أحكام الذميين والمستأمين في شريعة الإسلام : د. عبدالكريم زيدان
- ١٩- الفرد والدولة في شريعة الإسلام : د. عبدالكريم زيدان
- ٢٠- المجتمع الإنسان في ظل الإسلام : محمد أبو زهرة
- ٢١- نظام الحكم في الإسلام : د. محمد عبدالله العرب
- ٢٢- نظرية الإسلام وهديه في السياسة والدستور : أبو الأعلى المودودى
- ٢٣- الربا والاقتصاد الإسلامي : أبو الأعلى المودودى
- ٢٤- الحجاب : أبو الأعلى المودودى
- ٢٥- مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي : حسن البنا
- ٢٦- الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة : البهى الخولي

\* \* \*

## الثقافة التاريخية

ومن الثقافة الالزمة لمن نصب نفسه للدعوة : الثقافة التاريخية .

فال تاريخ هو ذاكرة البشرية ، وسجل أحداثها ، وديوان عبرها ، والشاهد العدل لها أو عليها .

ويمينا في ذلك تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة ، وتاريخ الإنسانية بصفة عامة ، أعلى المواقف الحاسمة منه ، واللامع الرئيسية فيه ، لأنه لا يتصور أن يدرس ، الإنسان تاريخ البشر كافة ، ولو كان متخصصا .. فكيف بغير المتخصص ! وإنما يحتاج الداعية إلى التاريخ لأمور :

١ - أنه يوسع آفاقه ، ويطلعه على أحوال الأمم ، وتاريخ الرجال ، وتقلبات الأيام بها وبهم ، فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور : كيف ترقى الأمم وتهبط ؟ وكيف تقوم الدول وتسقط ؟ وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم ؟ وكيف تحيا الحضارات وتغوت ؟ وكيف ينجح القادة ويفشلون ؟ وكيف تنام الشعوب وتصحو ؟ - يقول القرآن : « أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ». (١)

٢ - أن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومبادئ . فهو مرآة مصقوله تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ، ونهاية الكفر والفحور ، وجزاء الشاكرين لنعمة الله ، وعقوبة الكافرين بها ، وكيف يحيى من يغرس الخير ، ويحصد من يزرع الشوك . ولهذا عنى القرآن الكريم بذكر قصص السابقين ، وتاريخ الغابرين لما فيها من عبر بلغة ، وعظات حية . كما قال تعالى : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محصن . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (٢) .

وقال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب » (٣) .

---

(\*) الحج . ٤٦ . (١) سورة ق : ٣٦ ، ٣٧ . (٢) يوسف : ١١١

وكثيراً ما يعقب على نهاية الأمم تعييبات تبرز ما وراءها من دروس ، مثل قوله بعد قصة ثمود : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا و كانوا يتقوون »<sup>(٣)</sup> و قوله بعد قصة سبا : « ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجاري إلا الكفور »<sup>(٤)</sup> و قوله بعد قصة موسى وفرعون : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنة على بني إسرائيل بما صبروا ، ودمروا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون »<sup>(٥)</sup> .

والداعية يحتاج إلى أن يستشهد للمعنى والقيم التي يدعو إليها بأحداث التاريخ ، وموافق الأبطال ، وغير الأبطال . فهذا أعنون على تثبيتها في العقول والقلوب ، فإن الكلمات قد تنسى ، ولكن الواقع قلماً تنسى .

٣ - أن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع الماثل ، ولا سيما إذا تمثلت الظروف ، وتشابهت الدوافع ، وهذا ما جعل العرب قد يملاً يقولون : ما أشبه الليلة بالبارحة ! وجعل الغربيين يقولون التاريخ يعيد نفسه . بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حين أشار إلى وحدة التصرفات أو تشابه الأقوال عند تشابه البواعث . وذلك في مثل قوله عن المشركين وطلبهم الآيات الكونية من رسول الله كقولهم : « لو لا يكلمنا الله أو تأتينا آية »<sup>(٦)</sup> : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قوهم تشابهت قلوبهم »<sup>(٧)</sup> وقال في سورة أخرى :

« كذلك ما أقى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون .  
أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون »<sup>(٨)</sup> أى أنهم اتخذوا في الاستكبار والطغيان فاتخذ ما صدر عنهم من زور وبهتان .

وأكثر من ذلك أن بعض القضايا الحاضرة لها جذورها التاريخية البعيدة الأغوار ، فمن لم يعرف أغوار ماضيها لم يدرك أسرار حاضرها . فالصدام بين الإسلام والمسيحية في هذا العصر لا يعرف حق المعرفة ما لم يعرف صراع الحروب الصليبية ، وما دفع إليها من بواعث ، وما صاحبها من دمار ، وما خلفته من آثار وما أسفرت عنه من نتائج .. بل لا يعرف إلا من بداية الصراع منذ موقعة اليرموك وفتح الشام ومصر وإفريقية في عهد الراشدين بل منذ معركة مؤتة وغزوة تبوك في عهد النبي ﷺ .

(٣) النمل : ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) سبا : ١٧ .

(٥) الأعراف : ١٣٧ .

(٦) القمر : ١١٨ .

(٧) الذاريات : ٥٢ .

(٨) البقرة : ١١٨ .

٤ - أن بعض جوانب التاريخ لها صلة وثيقة بعمل الداعية واهتماماته ، وأعني الجانب العقلى أو الفكرى في التاريخ ، مثل : تاريخ الأديان : نشأتها وتطورها ، وأهم الشخصيات والواقع المؤثرة في سيرها وما آلت إليه في النهاية : ومثل ذلك : تاريخ النحل والفرق . . . تاريخ الفلسفات والمدارس الفكرية . تاريخ الحضارات الكبرى ، ولا سيما الجانب الثقافى منها .

\* \* \*

### ● تنبیهات للدعاة في المجال التاريخي :

وأود أن يتبه الداعية الذى يطالع التاريخ ، ويقتبس منه إلى الأمور الآتية :

(أ) لا يجعل أكبر همه ووعى جزئيات التاريخ وتفاصيله ، وهذه لا يمكن أن تحصر ولو أمكن أن تحصر ل كانت فائدة الداعية منها جد قليلة . إنما المهم رؤوس العبر ، وموضع العظمة في التاريخ .

وبعبارة أخرى : المهم هو المغزى الأخلاقى للتاريخ واتجاهات الأحداث فيه ، وحصادها الناطق المعبر بلسان الحال .

(ب) أن يكون ذا وعى يقظ للواقع التاريخية التي تخدم موضوعه ، وتعمق فكرته وتقدم لها الشواهد الحية . وليس من اللازم أن يجد هذه الواقع في كتب التاريخ المتخصصة . بل كثيراً ما يلتقطها بحسه الوعى من مصادر قد لا يلتفت إليها كثيراً رجال التاريخ . فقد يلتقطها من القرآن فيها قصه علينا بالحق « ما كان حدثاً يفترى » ، وقد يلتقطها من كتب الحديث والآثار ، وخصوصاً فيها يتعلق بعصر الراشدين والقرون الأولى ، وقد يلتقطها من بعض كتب الأحكام مثل الخراج والأموال ، وقد يلتقطها من كتب الأدب ، أو كتب الحسبة ، أو كتب الرحلات ، أو كتب الفتاوى وغيرها .

(ج) أن يعني بسير الرجال ، وموافق الأبطال ، وبخاصة العلماء والدعاة ، والصالحون . وفي تاريخنا ثروة من السير تمثل فيها الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، وتبصر الشخصية المسلمة مجسدة في مواقف وأعمال كما نلمس ذلك في كتب الطبقات والتراجم ، سواء ما كان منها عاماً كوفيات الأعيان ، والواقي بالوفيات ، وما كان منها حاصاً بفتنة معينة كرجال الحديث مثلاً ، كما تجد ذلك في طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب أو الزهاد والصالحين مثل حلية الأولياء وصعه الصفوة ، أو الفقهاء مثلاً كالمجتهدين من الأئمة أو أتباع مذهب معين مثل طبقات الحنفية أو الشافعية أو غيرهم من علماء المذاهب المتبوعة . وهكذا طبقات الأطباء والحكماء واللغويين والنحاة .

الخ . . .

فالذى نركز عليه هنا : أن التاريخ ليس للملوك ولا لرجال السياسة وحدهم فكم من أفراد وفئات أخرى تسهم في صنع التاريخ ، وتترك « بصماتها » في حياة الناس أكثر من السلاطين والأمراء والزعيماء السياسيين .

وقد نجد حياة هؤلاء الطافين على سطح التاريخ فقيرة أو مقفرة من القدوة على حين نجد حياة الآخرين خصبة وثرية من المثل العليا ، والمعانى الطيبة، وهذا ما لم يغفله تاريخنا الإسلامي والحمد لله .

(د) أن يهتم بربط الحوادث والوقائع - خصوصا في تاريخنا الإسلامي - بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية . فالذى يطالع تاريخنا بدقة ويتأمل سيره بعمق ، يجد أن المد والجزر ، والامتداد والانكماش ، والنصر والهزيمة والازدهار والذبول ، والغنى والفقر ، كلها ترتبط بمقدار صلة الأمة بالإسلام أو انفصalam عنده ، وقربها من تعاليمه أو بعدها عنها ، وحسبينا أن نلقي نظرة عجلى إلى عصر الراشدين أو عصر عمر بن عبدالعزيز أو عصر الرشيد أو نور الدين أو صلاح الدين ، لنرى تمسكا بالدين أو رجعة إليه ، ونرى ثمارها عزاً وازدهاراً . والعكس بالعكس في عصور أو فترات أخرى .

(ه) أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة ، وأثره في تربية الأجيال وتكوين الأمة المسلمة ، وإقامة الدولة الإسلامية وبناء الحضارة الإسلامية ، والثقافة الإسلامية ، وتأثيره في العالم كله ، وقدرته على الانتشار عند القوة ، والمقاومة عند الضعف ، واستطاعته التأثير في غالبيه ليعتنقوه عن رضا و اختيار - كما فعل مع السلاجقة والتتار ، واحتزنه كل العناصر والطاقات اللازمـة لإمداد أمته بروح الجهاد لإثبات الدات أو لاستعادتها .

وهنا يجب أن نركز على عدة حقائق تاريخية قد يغفلها مُغفّلون عمداً أو سهواً :

١ - يجب إبراز الجاهلية العالمية والعربيـة - التي كان يتردى فيها العالم عامة والعرب خاصة - على حقبتها بلا إفراط ولا نفريـط ذلك أن التزعمـات التبشيرية والاستشرافية تـريد أن تلبـس هذه الجاهلـية لبـوسـا حسـنا ، مـصـخـمة ما كانـ لها من حـسـنـات ، مـتـغـاضـية عـنـها عـجـبـتـ بهـ منـ مـثـالـبـ . وقد طـربـ لـذـلـكـ القـومـبـونـ ، وـخـصـوصـاـ منـ الـعـرـبـ ، فـحـرـصـواـ عـلـىـ عـرـصـ الجـاهـلـيـةـ الـعـرـبـيـةـ مـبـرـأـةـ مـنـ كـلـ عـبـ ، وـإـذـاـ عـرـضـواـ الشـيـءـ مـنـ عـيـوـهـاـ مـسـوـهـ بـرـفـقـ : كـمـ يـبـدـوـ ذـلـكـ فـيـ درـاسـةـ التـارـيخـ وـالـأـدـبـ وـمـاـ سـمـىـ «ـ الـجـمـعـ الـعـرـوـيـ »ـ وـعـيـرـ دـلـكـ

متجاهلين ما كانوا عليه من فساد العقائد والأخلاق والأنظمة والتقاليد . وصدق الله حين قال : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم أوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لففي صلال مبين »<sup>(٩)</sup> .

ورضى الله عن عمر الذي قال : « إنما تنقض عرا الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » . وذلك لأنّه لا يعرف مقدار ما قدمه الإسلام من هداية وإصلاح . وهذا بشرط ألا يمس ذلك ما تميّز به أمة العرب ، ولغة العرب ، وأرض العرب من خصائص رشحتها لاحتضان الرسالة العامة الخالدة . « الله أعلم حيث يجعل رسالته »<sup>(١٠)</sup> .

٢ - ينبغي الاهتمام بحركات الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام ، وبرجال التجديد الذين يبعثهم الله بين حين وآخر في هذه الأمة ليجددوا لها دينها ، أيّاً كان لون هؤلاء الرجال والتجاهلهم ، فقد يكون منهم الخلفاء كعمر بن عبد العزيز ، أو السلاطين والأمراء كنور الدين وصلاح الدين أو الفقهاء والدعاة كالشافعى والغزالى وابن تيمية وابن عبد الوهاب ، وقد يكون المجدد فرداً ، وقد يكون جماعة أو مدرسة اصلاحية يبرز بها اتجاه في الإصلاح له سماته وخصائصه .

٣ - كما يجب الالتفات إلى دور الإسلام ورجاله وأثره في حركات المقاومة والتحرير التي ظهرت في العالم الإسلامي - على تباعد أطراقه - منذ وطئته جيوش الاستعمار . فرغم المكر الصليبي ، ومحاولات التحذير والتضليل ، وذر الرماد في عيون المسلمين ، لم يسلم الاستعمار من المقاومة الباسلة في كل بلد دخله وأريقت الدماء ، وسقط الشهداء تلو الشهداء ، ولم تزل المقاومة على مر الزمن حتى كان التحرير . وكان الإسلام وعلماؤه ودعاته ، وراء هذا الجهد للاستعمار ، ببريطانياً كان أو فرنسياً أو إيطالياً أو إسبانياً أو غير ذلك . وقد شهد بذلك مؤرخون غربيون مثل برنارد لويس<sup>(١١)</sup> وغيره .

\*\*\*

---

٩٥) الجمعة : ٢٠ ، الانعام : ١٢٤ .

(١١) في كتابه الغرب والشرق الأوسط (ترجمة) د. نبيل صبحي .

● تحذيرات للدعاة في المجال التاريخي :  
وأضيف إلى التنبهات السابقة للدعاة في مجال الثقافة التاريخية - تحذيرات  
يجب على الداعية ألا يغفل عنها :

أولا - ليس كل ما تحويه كتب التاريخ صحيحًا مائة في المائة ، فكم حوت مراجع التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفات تكذبها الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلة الناصعة في مصادر أخرى . وكم لعبت الأهواء والعصبيات السياسية والدينية والمذهبية دورها في كتابة التاريخ ، وق رواية وقائعه وتلوين أحاديثه ، وتصوير أبطاله إيجاباً أو سلباً ، وخصوصاً إذا علمنا أن - التاريخ يكتبه - عادة المتتصرون الغالبون . - والغلبة لها بريق وأضواء كثيرةً ما تعشى أعين المؤرخين عن سوءات الغالبين ، في حين تضخم أخطاء المغلوبين ، وتطمس فضائلهم ، عن قصد أو غفلة .

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي الذي يتعلق بأمثل عصور الإسلام وأفضلها وهو تاريخ العصور الأولى التي انتشر فيها الإسلام في الأفاق ، وانتشرت معه لغته وفقهه ، واتسع فيها تعلم كتابه وسنة نبيه ، وهو تاريخ عصر الصحابة ومن تبعهم بياحسان ، وهم الذين أثني عليهم الله ورسوله ، وهم الذين حفظوا القرآن والحديث وبلغوهما إلى الأجيال اللاحقة من بعدهم - إذا نظرنا إلى هذا التاريخ وجدناه قد ظُلِّم وشوَّه في كتب التاريخ أى ظلم وتشويه . ثم يجيء المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعجرها ويعجرها ، ويقولون : نحن لم نحد عن الطريقة العلمية فمصدرنا الواقدي أو الطبرى أو ابن الأثير . الخ .. جزء كذا صفحة كذا طبعة كذا .

هكذا يصنع المستشرقون ، وهكذا يفعل أساتذة التاريخ في الجامعات وهكذا يسir الذين يكتبون عن التاريخ في المجلات ، وفي غير المجلات .

ولم يكلف هؤلاء أنفسهم أن يدرسوا كيف كتب تاريخ تلك العصور .

لتأخذ أهم هذه المصادر القديمة وأشهرها وهو : تاريخ الطبرى .  
لقد كانت الفكرة المهيمنة على الطبرى عند كتابة تاريخه هي التجميع والتسجيل ، دون الانتقاء أو التمحیص للأسانيد أو الواقع المروية . فمن كان عنده خبر ذو بال نقله عنه ودونه منسوباً إليه ، وإن كان راوى الخبر من الضعفاء

أو المتهين أو المتروكين ، وإنما دفعه إلى ذلك حب الاستقصاء ، والخوف من أن يفوته بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي . ويمثل العلامة السيد محب الدين الخطيب الطبرى ومن في طبقته من العلماء في إيرادهم الأخبار الضعيفة برجال النيابة في عصرنا ، إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهم بعضها أو ضعفه ، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره <sup>(١٢)</sup> . هذا عذر للطبرى وأمثاله في روايته عن المجرورين . وله عذران آخران :

أولها : أنه يروى الحوادث بسندتها إلى من رواها ، ويرى أنه إذا ذكر السنن فقد برىء من العهدة ، ووضعها على عاتق رواته . وقد قيل : من أسنن فقد حمل ، أى حمل البحث في سنته ، وكان هذا مقبولاً في زمانه حيث يستطيع العلماء أن يعرفوا رجال السنن ، ويحكموا لهم أو عليهم .

ومن هنا قال الطبرى في مقدمة تاريخه :

«فما كان في كتاب هذا مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما أقى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلى إلينا» .

وبهذا حمل رواته التبعة ، وحمل بالتالى دارس كتابه أن يفتش عنهم في كتب الرجال ، ومصادر الجرح والتعديل ، وسيجد حينئذ عدداً منهم ساقطاً بالمرة ، وعدداً آخر مختلفاً في توثيقه وتضعيقه ، وعدداً آخر من الثقات المقبولين .

فمن رجال الطبرى : محمد بن إسحاق صاحب السيرة ، قال فيه الإمام مالك وغيره ما قالوا ، ومن وئقه لا يقبل كل ما يرويه ، وكثيراً ما كان الرواة عنه أضعف منه وأووهن .

والواقدى كذبه جماعة من أئمة الحديث ، ومن قبله لم يقبله بإطلاق . .

وهشام بن محمد الكلبى وأبوه ، وهما متهمان بالكذب .

وتسيف بن عمر التميمى كان يضع الحديث ، ويروى الموضوعات عن

(١٢) مجلة الأرهر . مجلد ٢٤ عدد صفر سنة ١٣٧٢ هـ مقالة «المراجع الأولى في تاريخنا» . لمحب الدين الخطيب

الأثبات - اتهم بالزندقة ، وضعفه غير واحد .

وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي ، قال فيه الحافظ الذهبي : أخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره وقال ابن معين : ليس بشفقة ، وقال مرة : ليس بشيء . وقال ابن عدى : شيعى مخترق ، صاحب أخبارهم !

وغير هؤلاء كثيرون من المجرورين المتروكين عند أئمة الجرح والتعديل من علماء الحديث ، وإن كان رجال التاريخ والأخبار يروون عنهم ، ويستندون إليهم .

ومن أجل هذا لا يقيم المحققون وزناً لروايات « الأخباريين » ولا يعتمدون عليها ويعيرون ، من ينقل عنها في كتب العلم المعتبرة .

ولهذا نجد الإمام النووي يقول في كتاب « الاستيعاب » لفقه المغرب وحدثه الإمام ابن عبد البر النمرى : إنه من أحسن الكتب المؤلفة في الصحابة وأكثرها فوائد ، لولا ما شانه بذكر ما شجر بين الصحابة وحكاياته عن الأخباريين . قال السيوطي معلقاً : والغالب عليهم الإكثار والتخلخل فيها يروونه <sup>(١٣)</sup> .

والعذر الثاني : للطبرى في عدم تمحیص ما رواه في تاريخه : أن الموضوع لا يترتب عليه حكم شرعى من تحليل أو تحريم أو إيجاب أو غير ذلك ، مما يتعلّق به علم الفقه . كما أنه لا يتصل ببيان كلام الله أو كلام رسوله ، كما في علم التفسير ، أو علم الحديث . ولا غرو أن وجدنا الطبرى - الذي كان إماماً جليل القدر في التفسير والحديث والفقه حتى كان له مذهب متبع مدة من الزمن - يدقق ويتحقق فيها يتصل بهذه العلوم المذكورة ، ولكنه يترخص ويتساهل في أمر التاريخ ، قائلًا في تسویغ ذلك « إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج . . . » .

وغفر الله للإمام الطبرى ، فإن هذا التساهل قد شوّه تاريخ فجر الإسلام ، وأساء إلى حلة رسالة الأولين ، وفتح باب الاعتدار نفسه لمن بعده ، فأخذوا عنه كما أخذ عمن قبله ، وأدوا إلى من بعدهم ، كما أدى هو إليهم وكما أدى اليه من قبله . ومن ثم نرى أن ابن الأثير وأبا الفداء وابن كثير وغيرهم ، يعتمدون تخلخل الطبرى ، ثم جاء المعاصرون والمستشرقون فاعتمدوا على هؤلاء ، واعتبروا ذلك على وثيقاً .

(١٣) انظر التدريب على التقرير ج ٢ ص ٢٠٧ .

ولا غرو أن قام فقيه كبير ، وإمام جليل ، هو القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣) بالدفاع عن الصحابة ، وتحقيق مواقفهم بعد وفاة الرسول ، تحقيقاً علمياً موضوعياً ، وذلك في كتابه القيم : « العواصم من القواصم » الذي أخرج الجزء الخاص منه بالصحابة وحققه وعلق عليه بإفاضة : العلامة السيد محمد الدين الخطيب ، رحمة الله وجزاهما عن الإسلام خيراً . ثانياً : كما يتعرض التاريخ للتحريف والتشويه في تدوينه ، يتعرض لها أيضاً في تفسيره .

وفي عصرنا هذا نجد الأهواء والعصبيات والتيارات الفكرية تعمل عملها في تفسير التاريخ وتوجيهه وقائمه - وقد انعكس هذا على التاريخ الإسلامي أيضاً .

فالمستشرقون - في الغالب - حين يبحثون في التاريخ ، يخدمون به فكرة بيتها عن محمد ﷺ ودينه ، فمحمد ليس برسول الله ، والإسلام ليس بدين الله ، وأصحابه ليسوا إلا ثلة من المغامرين المتنافسين على الدنيا ! وأذا كان هذا رأيهم في الصحابة فكيف من بعدهم ؟ .

لا دين عندهم الا اليهودية وال المسيحية أما الإسلام فهو في زعمهم نسخة محرفة منها ، ولا عبرية عندهم إلا للغربيين ، ولا حضارة كحضارة اليونان والرومان . والمسلمون لا يزيدون على أن يكونوا نقلة لها .. الخ .

وفي سبيل هذا يغفلون أحداثاً قيمة ، ويضخمون أحداثاً تافهة ، ويردون أخباراً صحيحة ، ويعتمدون أخباراً ضعيفة أو مكذوبة ، يتصدرونها من أي كتاب ولو كان « الأغان » للأصفهاني .

ويوجهون هذا كله توجيهاً مسماً يؤيد اعتقادهم السابق عن الإسلام وكتابه ورسوله وأمته .

والماركسيون يفسرون التاريخ - وفقاً لفلسفتهم المعروفة - تفسيراً مادياً طبيقياً ، ويعاولون أن يطبقوا ذلك على نشأة الإسلام وظهوره وانتشاره ، ويعتسفون في ذلك كل الاعتساف ، ويحملون الأحداث ما لا تتحمل بحال ، ويقسمون الصحابة إلى يمين ويسار ، ويديرون صراغاً موهوماً بينها .. وهكذا . وكثير من كتاب المسلمين أنفسهم ، يخلعون على حوادث التاريخ ، وموافق رجاله ، ما عرفوه وخبروه من ألاعيب السياسة ، وموافق رجالها في هذا

ويتخيلون العلاقة بين عمر وخالد ، أو بين عثمان وعلي ، أو بين علي وطلحة والزبير ، من أمثال العلاقة بين الطاغين والطامعين من رجالات الأحزاب ، وتجار السياسة في عصرنا ، ويفسرون الموقف والأحداث تبعاً لهذا التصور الظالم ، المتتجنى على هذا الجيل المثالي الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله .

والقوميون من العرب يوجهون التاريخ الإسلامي كله وجهة قومية ، فالإسلام في نظرهم انتفاضة عربية أو وثبة من وثبات العبرية العربية ! ورسول الإسلام ذاته بطل قومي جادت به أمة العرب على الإنسانية ! ولا نعجب بعد ذلك إذا غدا « أبطال الإسلام » وعلماؤه ورجالاته الكبار على مدار تاريخه « أبطالاً عرباً » . ولا أن تسمى الحضارة الإسلامية « حضارة عربية » مع أنها بلا ريب إسلامية بحكم أهدافها وقيمها المستمدة من الإسلام .. إسلامية بحكم بواطنها ودفافعها المرتبطة بخدمة الإسلام .. إسلامية بحكم العناصر التي أسهمت في بنائها وتشييد أركانها ، وهي عناصر تشمل كل الأجناس والشعوب الإسلامية . إسلامية بحكم الرقعة التي امتد إليها وأثرت فيها ، وهي رقعة واسعة تشمل العالم الإسلامي كله .

على أن للعرب فضلاً لا ينكر ، فهم عصبة الإسلام الأولى ، وحملة رسالته الأولون ، ومبانقو القرآن والسنّة إلى العالمين . وفيهم بُعثَ الرسول الخاتم ، وبليسانهم نزل الكتاب الخالد ، وفي أرضهم حرم الله وحرم رسوله . ولكن هذا شيء ، وتحريف التاريخ شيء آخر .

\* \* \*

## الثقافة الأدبية واللغوية

وإذا كانت الثقافة الدينية لازمة للداعية في الدرجة الأولى ، فإن الثقافة الأدبية واللغوية لازمة له كذلك . ولكن الأولى تلزمه لزوم المقاصد والغايات ، والثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات .

واللغة - بمفرداتها ونحوها وصرفها - لازمة لسلامة اللسان ، وصحة الأداء ، فضلاً عن حسن أثرها في السامع . بل صحة الفهم أيضاً ، فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى وتشوه المراد - يجهها الطبع ، وينفر منها السمع .

وانظر كم يقشعر جلدك ، ويضطرب قلبك ، ويتأذى سمعك ، حين تسمع داعية يقول : التَّبْعَةُ وَهُوَ يَرِيدُ التَّبْعَةَ . وَيَذَكُرُ الْأَهْبَةَ وَهُوَ يَرِيدُ الْأَهْبَةَ .

وآخر ينصب المرفع ، ويرفع المنصوب ، ولا يفرق بين فاعل ومحصول به ، ولا يبالي بإضافة ولا حرف جر .. فلا يكاد ينهي سطراً من الكلام إلا ضلَّك فيه ضلَّة ، أو لطمك - ولطم الخليل وسيبوه معك - لطمة أي لطمة .

وكثيراً ما يؤدي اللحن إلى إفساد المعنى ، وإخراجه إلى ما ينافق الشرع والعقل .

وشر ما يكون ذلك إذا كان اللحن في كتاب الله ، كذلك الإمام الذي صلَّى أعرابي خلفه ، فسمعه يقرأ : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمِّنوا » قال : ولا إن آمنوا أيضاً لننكحهم أفقيل له : إنه يلحن ، وليس هكذا يقرأ . فقال : أَخْرُوهْ قبْحَهُ اللَّهُ لَا تَجْعَلُوهُ إِمَاماً . فإنه يحل ما حرم الله .

إن المرء لا يستطيع أن يفهم كتاب الله وسنة رسوله بغير التمكن من اللغة وعلومها .

لقد أخبرني بعض طلابي أنهم سمعوا من يقول بأن حواء خلقت أولاً وأن آدم خلق منها بعد . وأن المرأة هي أصل البشرية .

ولما سألت من أين جاء بهذا الكلام ؟ قالوا : من القرآن من أول سورة النساء وما شابهها - وهنا أدركت سر الخطأ عند هذا المتحدث وهو جهله باللغة فقد قرأ قوله

تعالى من فاتحة سورة النساء « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا . . . »<sup>(١)</sup> ففهم منها أنَّ كلمة « زوجها » تعني الرجل وهو آدم في نظره ، ولو كان آدم هو المخلوق أولاً والمرأة هي التي خلقت منه لقال : خلق منها زوجتها . . وهذا هو المستعمل عرفاً تقول عن الرجل زوج ، وعن المرأة زوجة - وغفل هذا الرجل أنَّ القرآن يجُب أن تفسر كلماته وفقاً لمدلولها اللغوي لا العرفي ، لأنَّ العرف دائم التبدل . واللغة التي نزل بها القرآن تسمى المرأة زوجاً كالرجل تماماً . وهذا قال تعالى في قصة آدم « اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ »<sup>(٢)</sup> . . ولم يقل وزوجتك . وقال في شأن هاروت وماروت « فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا مَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ »<sup>(٣)</sup> وإنما أقَرَّ الرجل من جهله باللغة .

والأدب بشعره - ونثره ، وأمثاله وحكمه ، ووصاياه وخطبه - مهم للداعية ، يثقف به لسانه ، ويحيّد أسلوبه ، ويرهف حسه ، ويقفه على أبواب من العبارات الرائقة ، والأساليب الفائقة ، والصور المعبرة ، والأمثال السائرة ، والحكم البالغة . ويفتح له نافذة على الواقع والشواهد ، ويضع يده على مئات بل ألف من الشواهد البليغة التي يستخدمها الداعية في محلها ، فتقع من القلوب أحسن موقع وأبلغه .

وقد جاء في الحديث : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سُحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمًا »<sup>(٤)</sup> وسمع النبي ﷺ - الشعر من أكثر من شاعر ، واستجاده واستزداد منه . وكان من أصحابه شعراء معروفون مثل : حسان بن ثابت ، وكمب بن مالك ، وعبد الله ابن رواحة من الأنصار .

وأذن لحسان أن يذود بلسانه وشعره ، ويرد عنه هجو شعراء قريش ، وقال له :

اهجهم وروح القدس معك .

وروى مؤرخو الأدب كثيراً من الشعر للخلفاء الراشدين ، وخصوصاً لعلى رضي الله عنه . فقد روى عنه كثير من الشعر الجيد البليغ ، كما رووا أيضاً لكثير غيرهم .

ومن لم يقل الشعر منهم فقد رواه ورَغَبَ في روايته .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : علِمُوا أَبْنَاءَكُمُ السَّبَاحَةَ وَالرَّمَاءَ وَرَكْوبَ الْخَيْلِ وَرَوْوَهُمْ مَا يَحْمِلُ مِنَ الشِّعْرِ .

---

(١) النساء : ١ . (٢) البقرة : ٣٥ ، الأعراف : ١٩ .  
 (٣) البقرة : ١٠٢ . (٤) رواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس بأسناد صحيح .

وقالت عائشة رضي الله عنها : رروا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم .  
وقال المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم  
بشعر ولا فريضة - علم المواريث - من عائشة رضي الله عنها .

وروى عنها ابن أبي مليكة : أنها كانت تنشد قول ليدي :  
ذهب الذين يعيش في أكتافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب  
وتقول : رحم الله ليبدأ .. فكيف لو أدرك زماننا هذا ! .  
ثم قالت : إني لأروي ألف بيت له ، وإنه أقل ما أروي لغيره .

وكان ابن عباس من أروي الناس للشعر ، حتى حكوا أنه كان يحفظ رائحة عمر بن أبي ربيعة ، وكان يستند إلى الشعر في تفسيره للقرآن ، كما يعرف ذلك من حماورته لنا في ابن الأزرق .

وقال الشعبي أحد أئمة التابعين بالكوفة : ما أنا لشيء من العلم أقل مني رواية  
للشعر ، ولو شئت أن أنشد شعراً شهراً ، لا أعيد بيتاً .. لفعلت ! .

ويروى أن زياداً بعث بولده إلى معاوية ، فكاشفه عن فنون من العلم ، فوجده  
عالماً بكل ما سأله عنه ، ثم استنشده الشعر ، فقال : لم أرو منه شيئاً . فكتب معاوية  
إلى زياد : ما منعك مأن ترقيه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيبر ، وإن كان  
البخيل ليرويه فيسخن ، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل .

وهذا يدلنا على مقدار ما للأدب عامة ، وللشعر خاصة ، من تأثير في النفس  
البشرية ، كما يدلنا على أن العناية بالأدب ، والتضلع منه ، والاطلاع على مصادره  
والحرص على تقييد أوابده ، وترديد فرائده ، والاستفادة منها عند الحاجة ، أمر لازم  
للداعية الناجح .

ولا غرو أن جعل الله الآية الكبرى ، والمعجزة العظمى ، خاتم رساله آية أدبية ،  
ومعجزة بيانية ، أثرت في خصومها وأنصارها على سواء : القرآن الكريم ، وذلك لينبئنا  
على قيمة الأدب ومنزلة البيان .

ولنضرب لذلك مثلاً : هب أنك تتحدث عن صلة الرحم ، وبر ذوي القربى  
وذكرت ما تيسر في الموضوع من الكتاب والسنّة ، أفالاً يكون مما يوسع أفق حديثك  
ويزيده تأثيراً على تأثير ، أن تذكر بعض ما حفلت به كتب الأدب في ذلك من شعر  
ونثر ... فمن ذلك قول علي :

أكرم غشيرتك ، فإنهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي إليه تصير .. الخ  
ومن ذلك قول طرفة في معلقته :  
وظلم ذوي القرب أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهندي  
وقول الآخر :

أخاك أخاك ، إن من لا أخاه له .

كساع إلى الهيجاء بغير سلاح .  
وان ابن عم المرء - فاعلم جناحه .  
وهل ينهض البازى بغير جناح ؟

وقول الحماس :

وإن الذى بيضني وبين بني أبي  
وبين بني عمى لختلف جدا  
إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم  
وإن هدموا مجدى بنىت لهم مجدًا  
وإن زجروا طيراً بنسخ تمر بي  
زجرت لهم طيزاً تمر بهم سعدا  
ولا أحلى الحقد القديم عليهم  
وليس كبير القوم من يحمل الحقدا

وقول الآخر :

قومي هم قتلوا أميهم أخي  
فإذا رميت يصيبيني سهمي !  
فلشن عفت لأعفون جللا  
ولشن رميت لأوهنن عظمي !

ومن الجوانب المهمة في الثقافة الأدبية : ما تتحكيه كتب الأدب من حوار وقصص  
وأخبار ، كثيراً ما تكون لها قيمة أخلاقية ، أو دلالة تربوية ، فيلتقطها الداعية ذو الحس  
المرهف ، لينقلها من مجال المتعة بالقراءة إلى مجال الدعوة والتوجيه .  
اذكر هنا مثلاً لذلك ما حكاه ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه : « العقد

الفريد» : أن رجلاً يقال له : ابن سلكة ، دخل على الحجاج يشكو إليه ظلمة حلّت به على أيدي رجاله . فكان مما قاله للحجاج :

عصى عاص من عرض العشيرة ، فحلق على اسمي<sup>(٥)</sup> . وهدم منزله ، وحرمت عطائي !

يعني الرجل أن هذا كله أصابه بذنب واحد من العشيرة ! . كما يفعل الطغاة إلى يومنا هذا .

قال الحجاج : هيهات ، أما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يحيى عليك وقد

تعدى الصلاح مبارك الجُرْبِ .

ولرب ماحود سدب عشيرة

ونجا المقارب صاحب الذنب

فقال الرجل : أصلح الله الأمير . إني سمعت الله عز وجل يقول غير هذا . قال : وما ذاك ؟ قال : قال الله تعالى - أي على لسان إخوة يوسف - : « قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدهنا مكانه ، إننا نراك من المحسنين . قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متابعاً عنده إننا أذن لظالمون »<sup>(٦)</sup> . قال الحجاج : على بيزيد بن أبي مسلم .. فمثل بين يديه ، فقال : افکك لهذا عن اسمه ، واصكك له بعطايه ، وابن له منزله ، ومر منادياً ينادي : صدق الله وكذب الشاعر !

فهذه القصة التي ترويها كتب الأدب تدل بوضوح على أن للشريعة الإسلامية سلطانها وهيبتها حتى على طغاة الحكام . وهذه خصيصة فريدة تتميز بها الشريعة الربانية عن الأنظمة والقوانين الوضعية . كما تدلنا على أن أطغى الطغاة في العصور الأولى لم يكن ليجرؤ على رفض شريعة الله ، أو تحدي نصوصها ، ولو كان هو الحجاج بن يوسف .

حتى الطرائف والملح الأدبية يجد الداعية الموفق لها مكانها ووقتها ، فيتفتح لها ، ليثبت بها معنى معيناً ، أو ليروح بها عن ساميته . كما قيل : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فاتغوا لها طرائف الحكمة .

(٥) يعني أن اسمه وضع داخل حلقة أو دائرة من المداد كما يفعل أمام المداد التي يرسّب فيها التلميذ . وبتعبير العصر . وضع اسمه في القائمة السوداء .

(٦) يوسف : ٧٨ ، ٧٩ .

ويستطيع الداعية الملام كذلك ، أن يقتبس كثيراً من النصوص الأدبية وبخاصة الشعر الرفيع - فينقلها من موضوعها الأصلي الذي سيقت فيه إلى موضوع يراه الداعية أليق لها ، وأحق بها ، وهو كثير .

قال بعضهم : حضرت مجلس الشيل ، فقام إليه رجل من أصحابه ، فقال له : أوصي - فقال : لقد أوصاك الشاعر بقوله .

قالوا . توق ديار الحي ، إن لهم عيناً عليك إدا مانث لم تنم  
وكثيراً ما استعار أهل المحبة لله أسعار العساق ، من أمثال قيس وجبل وكثير  
فاستعملوها هم في أغراضها الربانية ، ولم يلتفتوا إلى أنها قيلت في ليل أو بثنية أو عزة .  
بل ربما بقية هذه الأسماء ، فلم يبالوا بها .

وقد أنشأ أبو فراس الحمداني أبياتاً من قصيدة يخاطب بها أميره وابن عمه سيف  
الدولة ، فنقلها الصالحون إلى من لا يجوز أن يخاطب بها غيره ، وهو الله جل جلاله  
وهي قوله :

فليتك تخلو والحياة مريرة  
وليتك ترضي والأنس غضاب  
وليت الذي يبني وبينك عامر  
وبيني وبين العالمين خراب  
إدا صبح منك الود يا غاية المنى  
فكل الذي فوق التراب تراب

ورأيت من الناس من ينسبها إلى رابعة العدوية ، والحقيقة أنها لم تُنشأ إلا بعد  
رابعة العدوية بزمن طويل .

\* \* \*

## الثقافة الإنسانية

ويعني بها أن يلم الداعية إماماً مناساً بأصول ما يعرف الآن باسم «العلوم الإنسانية» مثل علوم : النفس والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والأخلاق والتاريخ وقد فصلنا التاريخ عنها وخصصناه بالذكر لأهميته الخاصة للداعية ولا سيما أنها أدخلنا فيه التاريخ الإسلامي .

ولإغاثة أوصينا الداعية بذلك لعدة أسباب :

١ - إن موضوعها له علاقة وتيقة بموضوع الدعوة ، أو قل : إن موضوعهما واحد وهو : الإنسان . الإنسان في الماضي أو الحاضر ، الإنسان فرداً أو مجتمعاً ، الإنسان مفكراً لنفسه أو مفلاً لغيره ، الإنسان منتجاً أو مستهلكاً ، الإنسان ريفياً أو منحضر ، الإنسان أمياً أو متعلماً ، الإنسان حيث كان وكيف يكون .

٢ - إن الإمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس ، وبخاصة الذين تتقدّم بهده العلوم ، وأصبحت جزءاً من تكوينهم الفكري ، ومزاجهم الثقافي . والداعي مأمور أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وأن يبين لهم بلسانهم ليفهموا عنه . ولا يستطيع ذلك مالم يكن بينه وبينهم جسر متترك من الثقافة ، يقرب المسافة ، ويزيل المثوة أو الفجوة العقلية والنفسية بين عالم الدين والمتقين بالعلوم الحديثة .

٣ - أن هذه العلوم في كثير من الأحيان رسحات ضارة على الثقافة المعاصرة ، وسموماً تنفثها في شتى المجالات ، لا يكاد سلم منها كتاب أو مجلة أو صحيفة ، أو إذاعة أو غيرها ، ومن لم يعرف مصادر هذه الرسحات والسموم لم يستطلع أن يقاومها بأسلوب علمي رصين - بل لعلها تتسلل إلى نفسه وتأثير في فكره وقلبه ولسانه وهو لا يشعر ، ولهذا قيل : عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه .

\*\*\*

### ● تنبيهات لدارس العلوم الإنسانية :

وأود أن أنبئك هنا - أي في مجال العلوم الإنسانية إلى جملة أنتياء :

١ - أن هذا اللون من العلوم - منها قيل فيه - ينبع من التفسيرات ، تبعاً للمدارس المختلفة ، وتعيناً لتعكير الدارس وثقافته واتجاهه .

٢ - أنها بناء على ذلك - تسرب إليها إسرائيليات حديثة ، كما تسربت إلى كتبنا من قبل الإسرائيليات القديمة - إسرائيليات مثل فرويد في علم النفس ، ودوركايم في علم الاجتماع ، وماركس في علم الاقتصاد .

٣ - أن للذاتية فيها مخالاً رحباً ، للاستنتاج الظني ، وميداناً فسيحاً ، لأن موضوعها ليس المادة الحامدة بل الإنسان المتحرك المتغير ولذا تنقض اليوم ما أبرمه بالأمس ، وتنقض في العد ما تبرمه اليوم . وتهدم مدرسة منها ما تبنيه أخرى ، وينفي فيلسوف أو عالم ما يبالغ غيره في إثباته وتأكيده .

٤ - أن طريقة العرض والسياق للمادة العلمية - ولو كانت سليمة ولا غبار عليها تتأثر بعقيدة صاحبها وفكره وثقافته ، وتؤثر بالتالي في قارئها ، وهذا واقع في عرض العلوم البحتة ذاتها كالفيزياء والأحياء وغيرها . فالمادي يقول : خلقت الطبيعة ، والمؤمن يقول : خلق الله - هذا في العلوم التجريبية المحسنة فكيف بالعلوم الإنسانية وهي كما ترى ! .

٥ - لهذا كله أقول : إن المهم ، بل من الضروري : أن تقدم هذه العلوم لطلاب الدعوة بأقلام إسلامية مأمونة لا يخترى من تأثير الغزو الفكري ، والإسرائيليات الحديثة على عقولها . وهذا يشترط فيمن يقدم هذه الدراسات :

١ - أن يكون متخصصاً فيها يكتب ، غير دخيل على الموضوع ، ولا متقدم ما ليس له - وقد قال تعالى « ولا ينبعك مثل خبير » .

٢ - أن يكون مسلحاً بثقافة إسلامية ناضجة ، غير مبتسرة ولا سطحية ، حتى يتمكن من عرض موضوعه في ضوء منطلقات إسلامية صحيحة ، منبثقه من عقيدة الإسلام ونظرته إلى الدين والحياة ، وإلى الله والكون ، وإلى الإنسان والتاريخ .

٣ - أن يكون وراء هذه الثقافة ، وذاك التخصص ، روح إسلامية حية ، وضمير إسلامي يقظ ، وإن شئت قلت : التزام بالإسلام ، وإيمان بأنه أمثل فلسفه للحياة ، وأعدل نظام للمجتمع .

\*\*\*

### ● علم النفس :

ولا أريد به علم النفس القديم الذي كان جزءاً من أجزاء الفلسفة ، ولا علم النفس الذي اشتهرت به مدرسة التحليل النفسي ، وما انبثق عنه من نظريات لم يتم دليل على صحتها .

إنما أريد علم النفس التجاري الذي انتهت إليه الدراسات النفسية الحديثة ، والذي تقوم دراسة الظواهر النفسية فيه على أساس الملاحظة والتجربة والقياس والاختبار ، والذي يطبق على البشر لا على الورق ، ويعتمد على الرياضيات والأرقام لا على مجرد التأمل أو الافتراض .

إن علم النفس بهذا المفهوم يفيد الداعية في أكثر من جانب :

أولاً - أنه يفيده في بيان الآثار الطيبة ، والثمار النافعة للإيمان والتدين في نفسية صاحبه وسلوكه في الحياة

تجد ذلك واضحاً في مثل ما سجله الطبيب النفسي الأمريكي المشهور - الدكتور « هنري لنك » في كتابه « العودة إلى الإيمان » وقد طبع كتابه إلى ما قبل سنوات ٤٧ مرة في أمريكا . - وقد أجرى أكثر من ثلاثة وسبعين ألف (٧٣٠٠٠) اختبار نفسي على عشرة آلاف نفس ، خرج منها بنتيجة هامة هي :

« أن كل من يعتقد ديناً ، أو يتردد على دار العبادة ، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل من لا دين له ، ولا يزاول أية عبادة » .

ومثل هذا ما قرره الدكتور « كارل يونج » في كتابه « الرجل العصري » يبحث عن روح » : انه لم يجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع في أساسها إلى افتقاد الإيمان ، والخروج على تعاليم الدين ، ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى إلا حين استعاد إيمانه واستعاد بأوامر الدين ونواهيه على مواجهة الحياة .

ويكفي هذا ردأً على الذين يزعمون أن الدين أفيون مخدر للشخصية الإنسانية . ويقول الفيلسوف الأمريكي الشهير وليم جيمس « إن أعظم علاج للقلق - ولا شك - هو الإيمان » .

وينقل « دليل كارنيجي » عن الدكتور « أ . أ . بريل » قوله : « إن المرء المتدين حقاً لا يعاني مرضًا نفسياً قط » .

ويعقب على ذلك « كارنيجي » بقوله :

« وعندني أن أطباء النفس ليسوا إلا وعاظاً من نوع حديد ، فهم لا يحضونا على الاستمساك بالدين ، توقياً لعذاب الجحيم في الدار الآخرة فحسب ، وإنما يوصونا بالدين توقياً للجحيم المتصوب في هذه الدنيا : جحيم قرحت المعدة ، والآهيار العصبي ، والجنون »<sup>(١)</sup> الخ .

(١) انظر كتاباً « الإيمان والحياة » تحت عنوان « الطب النفسي في موقف الإيمان » من الفصل الأخير

ثانياً - أنه يفيد في فهم كثير من النصوص الدينية - والتعبير عنها تعبيراً يلائم عقلية العصر وروحه . فقوله تعالى : « قل إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِواحِدَةٍ ، أَنْ تَقْوِمُوا لِللهِ مُثْنَى وَفَرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا »<sup>(٢)</sup> . يدلنا على أن التفكير النافع الجدير بأن يصل صاحبه إلى الحق هو تفكير الإنسان مع رفيق له أو وحده - بعيداً عن تأثيرات العقل الجماعي وإيماءاته التي كثيراً ما تحرف الإنسان عن الصواب والاتزان - وهذا ما يقرره علم النفس .

وقوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ « لَا يَقْضِي الْقَاضِي وَهُوَ غَضِيبٌ »<sup>(٣)</sup> يشير إلى تأثير الانفعال - وخصوصاً إذا استند - على سلامة الإدراك - وصحة التفكير وهو ما يقرره علم النفس .

ثالثاً - أنه يزيد الداعية فهـا لأسرار كثـير من الأحكـام الشرعـية - فيزداد إيمـاناً بكمـال عـدل الله وحـكمـته فـيـها شـرـع - ويـكون أـقـدرـ على بـيـان ذـلـك لـغـيرـهـ من النـاسـ . من ذـلـك جـعـلـ قـوـامـةـ الـأـسـرـةـ بـيـدـ الرـجـلـ لـاـ المـرـأـةـ - فـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ مـحـابـةـ لـجـنـسـ الرـجـالـ وـلـاـ حـيـفـاـ عـلـىـ جـنـسـ النـسـاءـ - كـيـفـ وـالـلـهـ خـالـقـ الذـكـرـ وـالـأـنـثـيـ جـمـيـعـاـ وـهـوـ رـبـهـاـ جـمـيـعـاـ؟ـ !ـ

يقول الدكتور يوسف مراد : « كـثـيرـ مـنـ الـبـحـوثـ الـتـيـ اـسـتـخـدـمـ فـيـهاـ مـقـاـيـيسـ التـقـدـيرـ الذـاـقـيـ لـلـشـخـصـيـةـ - وـالـتـيـ طـبـقـتـ عـلـىـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـذـكـرـ وـالـإـنـاثـ الـكـبـارـ بـيـنـتـ أـنـ هـنـاكـ فـرـوـقـاـ بـيـنـ الـجـنـسـيـنـ فـيـ النـوـاـحـيـ الـانـفـعـالـيـةـ - وـمـاـ يـمـثـلـ هـذـهـ الـدـرـاسـاتـ بـحـثـ لـلـتـقـدـيرـ الذـاـقـيـ بـمـقـاـيـيسـ «ـ بـرـنـوـوـيـتـرـ »ـ وـكـانـ مـنـ نـتـائـجـ تـطـيـقـهـ أـنـ تـبـيـنـ أـنـ الرـجـالـ بـالـتـأـكـيدـ أـكـثـرـ ثـبـاتـاـ مـنـ النـسـاءـ وـأـنـهـمـ أـقـلـ تـعـرـضـاـ لـاـضـطـرـابـ الـأـعـصـابـ وـأـكـثـرـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ وـأـقـلـ اـنـطـرـاءـ وـأـكـثـرـ سـيـطـرـةـ وـأـكـثـرـ ثـقـةـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ مـنـ النـسـاءـ »<sup>(٤)</sup> .

رابعاً - أنه يعين الداعية على فهم نفسية من يدعوه من الأفراد أو الجماعات ، ودراسة اهتماماتهم ، وما يؤثر في نفوسهم ، ليخاطبهم على قدر عقولهم ويعطيهم بقدر ما يقبلون ويطيقون ، دون أن ينفرهم أو يثقل عليهم ، أو يجعل لهم الملل والسامة .

وهـناـ نـذـكـرـ الـوـصـيـةـ النـبـوـيـةـ : «ـ يـسـرـواـ وـلـاـ تـعـسـرـواـ ،ـ وـبـشـرـواـ وـلـاـ تـنـفـرـواـ »<sup>(٥)</sup>ـ وـكـانـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ مـسـعـودـ يـذـكـرـ النـاسـ فـيـ كـلـ خـمـسـ ،ـ فـقـالـ لـهـ رـجـلـ :ـ يـاـ أـبـاـ عـبـدـالـرـحـمـنـ ،ـ لـوـدـدـتـ أـنـكـ ذـكـرـتـنـاـ كـلـ يـوـمـ !ـ قـالـ :ـ أـمـاـ إـنـهـ يـمـنـعـنـيـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ أـكـرـهـ أـنـ أـمـلـكـمـ .ـ وـإـنـ أـتـخـولـكـمـ بـالـمـوـعـظـةـ كـمـاـ كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يـتـحـولـنـاـ بـهـ مـخـافـةـ السـامـةـ عـلـيـنـاـ »<sup>(٦)</sup>ـ .

\* \* \*

(٣) رواه البخاري .

(٢) سـأـ :ـ ٤ـ٦ـ .

(٤) مـيـادـيـنـ عـلـمـ الـفـسـحـ حـ ٢ـ :ـ صـ ٦٠٦ـ ،ـ ٦٠٧ـ (٥) رـوـاـتـ الشـيـحـانـ عـنـ اـسـ

(٦) رـوـاـتـ الشـيـحـانـ وـالـتـرـمـدـيـ .

## ● علم الاجتماع :

وهو العلم الذي يعني بدراسة المجتمع البشري في مختلف جوانبه ، ويعمل على تحليل ظواهره والكشف عن القوانين التي تحكم مسيرته .

والغربيون ينسبون تأسيس هذا العلم إلى « أوجست كونت » الفيلسوف الفرنسي ، ويسمونه « أبا الاجتماع » جاهلين أو متجاهلين الوثبات الرائعة التي حققها العلامة عبد الرحمن بن خلدون في هذا العلم ، كما يلاحظ ذلك بوضوح من درس « مقدمته » الفذة في فلسفة التاريخ <sup>(٧)</sup> .

ولهذا العلم مدارس عديدة ، وفيه اتجاهات متباعدة ، ولكل منها مناهجه في البحث والتحليل ، من المنهج التاريخي ، إلى المنهج التطوري ، إلى المنهج المقارن ، إلى المنهج الوظيفي ، إلى المنهج الصوري أو النظري ، إلى ما جَدَّ ويَجَدَ من مناهج يعلمها الله وحده . حتى قال أحد النقاد يوماً عن علم الاجتماع : إنه علم ذو أكبر عدد من المنهاج ، وأقل عدد من النتائج <sup>(٨)</sup> .

ويحسن بالداعية أن يطلع على نبذة من أصول هذا العلم ، وأهم مقرراته وأحدث ما انتهى إليه رجاله .

فكثيراً ما يُتَخَذُ بعض ما يحويه هذا العلم سلاحاً لضرب الدين ، وتعويق دعوته من مثل ما سماه « كونت » قانون الدورة الثلاثية « الذي يقضي بأن دور الدين قد انتهى ، كما انتهى دور الميتافيزيقا الفلسفية ، ولم يبق إلا دور العلم التجريبي » <sup>(٩)</sup> . وما قرره هو وغيره من اعتبار الدين ظاهرة اجتماعية وتفسير كل دعوات الأنبياء ، على أنها من صنع البشر . وكذلك ما قرره « دوركايم » وغيره من تطور الأديان من الوثنية إلى التوحيد خلافاً لما يقرره القرآن والسنّة .

ومثل ما قرره دوركايم من أن الفرد دمية يحرك خيوطها المجتمع ، مما يتنافى مع المسئولية الفردية التي يؤكددها الدين ، ويقيم عليها بناء التكليف وفكرة الشواب والعقاب .

(٧) انظر : تقديم الدكتور على عبد الواحد وافي لقديمة ابن خلدون بتحقيق . ط دار البيان .

(٨) انظر : تمهيد في علم الاجتماع للأستاذ ذو تومور - ترجمة د . محمد الجوهري وآخرين .

(٩) انظر إلى علم هذه النظرية في كتاب الدين للدكتور دراز ص ٨٤ وما بعدها ، ط دار القلم . الكويت أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ط ثلاثة

ومن المهم بل من الضروري ، أن تعرض أسس هذا العلم من منظور إسلامي ، ومن منطلقات فكرية تنسجم مع عقيدة الإسلام ونظرته إلى الدين والحياة والإنسان والتاريخ<sup>(١٠)</sup> . حتى يتخذ وسيلة لفهم أوضاع المجتمع ، ودراسة مشكلاته دراسة علمية ومعرفة أسبابها . ومحاولة علاجها علاجاً جذرياً لا مسكنأً .

\* \* \*

### ● الفلسفة :

ويحسن بالداعية أن يلم - أيضاً - بالفلسفة واتجاهاتها المادية والروحية والوضعية والمثالية ، وبتاريخ الفكر الإنساني عامه والإسلامي خاصة . لا ليعتق آراء الفلاسفة أو يتبنى وجهة نظرهم في الإلهيات أو الأخلاقيات أو الاجتماعيات ، ولكن ليفيد من وراء دراستها في نواحي أخرى منها :

(أ) أن يتمكن من فهم الأفكار والفلسفات التي غزت كثيراً من عقول أبناء المسلمين اليوم ، وأصبح لها دعاة ومرجون في قلب ديار الإسلام ، من أساتذة الجامعات ورجال الأدب والثقافة والإعلام ، فهذا تطوري ، وآخر وضعى ، وثالث ماركسي ، ورابع وجودى ، إلى غير ذلك من المدارس ، الغربية أو الشرقية ، الواقعية أو المثالية ، اليمينية أو اليسارية . تختلف اتجاهاتها وتتفق على رفض الإسلام . وليس يقبل منا السكوت على هذه الأفكار والفلسفات - على طريقة النعامة المعروفة - وهي تغزونا في عقر دارنا ، وتأسر إليها أناءنا ، كما أنها لا نستطيع مقاومتها فكريأً ، مالم نحسن فهمها وتصورها ، وقد يبدأ قال أهل النظر : « الحكم على الشيء فرع عن تصوره » .

(ب) أن يتمكن من الرد على الفكر المخالف للإسلام بسلاح الفكر نفسه ، لأن الرد على المخالفين بالقرآن والحديث لا يصلح ، إذ هم لا يؤمنون بهما . وهذا ما فعله الإمام الغزالي في كتابه « تهافت الفلسفه » وما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية في « درء تعارض العقل والنقل » أو « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » وفي « نقد المنطق » وغيره ، ولو لا هضمها للأفكار الفلسفية ما استطاعوا نقضها من القواعد . وهذا ما يجب أن يصنعه كل داعية للإسلام مع الأفكار الواحدة المدama .

---

(١٠) هناك عدة محاولات جادة لتحقيق هذا الهدف ، أذكر منها : « المدخل إلى المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع » للدكتور مصطفى محمد حسين و « المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية » للأستاذ عمر عودة في الخطيب ، و « الإسلام وبناء المجتمع » للدكتور أحمد العسال و « قضايا في الاجتماع الإسلامي المعاصر » للدكتور محمد إبراهيم الفيرمي والمجتمع الإسلامي المعاصر لالأستاذ محمد المبارك .

(ج) أن يعرف - بدراسة تأريخ الفكر - الأصول والمنابع لكثير من التيارات الفلسفية والمذاهب الفكرية الحديثة كالمادية والشيوعية والوجودية وهذا يعين الباحث على تقويمها ونقدتها نقداً علمياً مستوعياً ، كما يعرف الجذور التاريخية لكثير من التحريرات التي دخلت على الأديان الكتابية ذاتها كما يتضح ذلك من فكرة التثليث والصلب والداء والبنوة لله ... الخ ، وإلى ذلك يشير القرآن بقوله في أهل الكتاب « ذلك قوله بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل »<sup>(11)</sup> .

(د) أن يطلع على تخطيطات الفكر الإنساني إذا بحث في الغيبيات وقضايا الوجود الكبرى وحده ، دون دليل أو معين من وحي الله ودهاء ، وقد قال أحد الفلاسفة « كانت » في نتائج البحوث العقلية الميتافيزيقية إنها أشبه بورق نقد بغير ضمان . وبذلك يزداد إيماناً بما هدى إليه وحي الله ، فيستريح عند ذلك ويريح « قل إن هدى الله هو الهدى »<sup>(12)</sup> .

(هـ) أن يتتفع بما يجده من نتاج العقل وثمار الحكمـة ، مؤيداً لما معه من حق خالص جاء به الوحي ، وفي الحديث : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أن وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذى وابن ماجة - ولا عجب أن يتفق العقل والنقل ، ويلتقى نور الفطرة السليمة بنور الوحي الصادق ، فيظهر من بينها « نور على نور » بل الواجب أن يلتئم العقل الصريح والنقل الصحيح لا حالة ، لأن كليهما أثر من آثار رحمة الله بعباده وبره بهم ونعمته عليهم ، وأثاره تعالى لا تناقض ، فان بدا لنا شيء من التناقض بين العقل والنقل ، فلا بد أن يكون النقل غير صحيح أو العقل غير صريح ، وهذا ما وضحه وبرهن عليه شيخ الاسلام في كتابه الأنف الذكر .

ومن المهم جداً أن يكتب عن أصول الفلسفـة وتاريخـها ، ومشكلاتها الكبـرى ، وتياراتـها المعاصرـة ، بأقلـام إسلامـية متخصـصة ، تتميزـ بالوضـوح والأصـالة ، والإيمـان العمـيق بما جاء به محمد ﷺ من الـهدى ودينـ الحق ، والتحرـر من سيـطرةـ أي فـكرـ غـازـ دخـيلـ<sup>(13)</sup> .

١٢٠ (١٢) البقرة : ٣٠ (١١) التوبـة :

(١٣) من أفضل ما كتب في ذلك : الدين للدكتور محمد عبد الله دراز - الحانـت الإلهـيـ من التـفكـيرـ الـاسـلامـيـ - الفـكـرـ الـاسـلامـيـ الـحـدـيـثـ وـصـلـتـهـ بـالـاسـتـعـمـارـ الـغـرـبـ - تـهـافتـ الفـكـرـ المـادـىـ التـارـيـخـىـ - كلـهاـ لـلـدـكـتـورـ مـحـمـدـ الـبـهـىـ - قـصـةـ الـإـيمـانـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـفـلـسـفـةـ لـلـشـيـعـ بـدـبـيمـ الـحـسـرـ - التـفـكـيرـ الـفـلـسـفـىـ فـيـ الـاسـلامـ - الـاسـلامـ وـالـعـقـلـ لـلـامـامـ الـأـكـرـ الدـكـتـورـ عـدـ الـحـلـيمـ مـحـمـودـ - نـشـأـةـ الـفـكـرـ الـفـلـسـفـىـ فـيـ الـاسـلامـ ، وـمـنـاهـجـ الـبـحـثـ عـدـ مـفـكـرـ الـاسـلامـ لـلـدـكـتـورـ عـلـىـ سـامـىـ النـشـارـ

## ● علم الأخلاق :

وما يدخل في الفلسفة علم الأخلاق ، بنظرياته المختلفة ومدارسه المتعددة فهو جزء من الفلسفة ، وليس «علمًا» كما زعم «ليفي بروول» من فلاسفة المدرسة الاجتماعية الفرنسية . لأن العلم يبحث عن ما هو كائن ، وهذا يبحث عما يجب أن يكون ، وموضوعه إحدى القيم الرئيسية الثلاث التي تنشدها الفلسفة وهي : الحق والخير والجمال ، وتحتخص فلسفة الأخلاق بالبحث عن الخير كما هو معلوم .

ومن الكتب النافعة في هذا الباب :

الفلسفة الخلقية - للدكتور توفيق الطويل .

المشكلة الأخلاقية والفلسفة - ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود والأستاذ أبو بكر هلال ذكري .

مباحث في فلسفة الأخلاق - للدكتور محمد يوسف موسى .

كلمات في مبادئ علم الأخلاق - للدكتور عبد الله دراز .

تهدیب الأخلاق - لابن مسکویہ .

وأما ما كتب عن فلسفة الأخلاق في ضوء الإسلام ، فلا ريب أن أجمعها وأعمقها هو «دستور الأخلاق في القرآن» لشيخنا الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله .

\* \* \*

## ● علم التربية :

ومن العلوم الإنسانية التي ينبغي للداعية أن يلم بها : علم التربية ، الذي أصبح له أثره ونطحنه في الحياة التعليمية بمختلف مراحلها ، وشئ ميادينها وأنواعها ، لا صبغها بصبغات مختلفة حسب فلسفة التربية ومنطلقاتها ووجهتها . وبخاصة في التربية مدارس واتجاهات تبتعد أحياناً من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، من التفريط إلى الإفراط .

وشيء آخر يجعل للتربية أهمية خاصة بالنظر إلى الداعية ، ذلك أن الدعوة كال التربية ، كلتاها تسعى إلى التأثير في فكر الإنسان وانفعاله ونزعاته ، بغية الارتقاء بفهame وأخلاقه وسلوكه .

والداعية كالمربi في ذلك وإن كان لكل منها وسائل ينفرد بها ، أو يتفوق فيها على صاحبه ، وكثيراً ما يكون الداعية مربياً ، والمربi داعية .

ومن ثم كان لا بد للداعية من الاستفادة بعلوم التربية وخبرات المربين ، وتجاربهم العديدة المتنوعة في مجالات تعليم الكبار والصغار ، والانتفاع بالأصول الجيد من أصول التربية وطريقها في حسن توجيه المخاطبين ، وإيصال المعرفة إليهم ، وكيف يمكن التأثير في عقولهم وعواطفهم ، وإثارة حواجز الخير في أنفسهم ، ومطاردة نوازع الشر بين جنوبهم . مع وجوب الاحتراز من التزغات المدamaة ، والشطحات المتطرفة في الفلسفات التربوية الحديثة والمعاصرة ، والاستنارة بما سطّرته الأقلام الإسلامية في هذا المجال مثل :

- ١ - فلسفة التربية الإسلامية : للدكتور عمر التومي الشيباني
- ٢ - في أصول التربية الإسلامية : للدكتور عبد الغني عبود
- ٣ - من الأصول التربوية في الإسلام : للدكتور عبدالفتاح جلال
- ٤ - منهج القرآن في التربية : للأستاذ محمد شديد
- ٥ - منهج التربية : للأستاذ محمد قطب
- ٦ - نحو التربية الإسلامية الحرة : للأستاذ أبي الحسن الندوبي

\* \* \*

## الثقافة العلمية

ولسنا نعني بالعلم هنا : معناه عند أهل اللغة ، ولا مدلوله الاصطلاحي القديم عند أهل المنطق أو علماء الكلام وأشياهم ، ولا مفهومه الإسلامي كما جاء به القرآن والسنّة . إنما نعني بكلمة « العلم » مفهومها الاصطلاحي الحديث ، كما شاع عند الغربيين ، ونقله إلينا الناقلون من أهل العربية ، حتى أصبح مصطلحاً شائعاً ولا مشاحة في الاصطلاح . ومدلول العلم عندهم هو : ما قام على الملاحظة والتجربة ، وخضع للقياس والاختبار ، مثل علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء - النبات والحيوان - والجيولوجيا والفلك والتشريح والطب وغيرها .

ولا نريد للداعية أن يتعقّل في دراسة هذه العلوم ، فإنّ هذا غير مقدور عليه ، والعمر لا يتسع ، والطاقة لا تتحمل ، والمعارف لا تنتهي ، ولا تقف عند حد . إنما نريد أن يطالع بعض الكتب الميسرة منها ، مما يعد لغير المتخصصين وكذلك المقالات العلمية في المجلات مما ينشر ليقرأه جهور المثقفين والمفروض أنه واحد منهم ، وذلك بعد أن يكون قد درس الأصول المهمة من هذه العلوم في المرحلتين الإعدادية والثانوية ، دراسة تمكنه من متابعة الفكر العلمي - ولو بقدر - فيما بعد .

والثقافة العلمية مهمة في عصرنا للمثقفين عامة ، وللداعية خاصة ، وذلك لأسباب :

١ - أنها مهمة لفهم الحياة المعاصرة . وقد أصبح العلم شريانها والمحرك لكثير من أمورها . فما من بيت إلا دخلته آثار العلم الحديث ، من كهرباء ، وأجهزة وأدوات . حتى المسجد نفسه نجد فيه ساعة جدارية ، ومجبرات للصوت ، وقد نجد فيه أجهزة للتسجيل ، وكلها من إنتاج العلم الحديث . ولا يحمل بالداعية أن يعيش في دنيا يسيرها العلم ويدير رحابها ، ولا يدرك الأوليات والأسسيات لهذا العلم .

٢ - أن بعض ما يعزى إلى العلم - وتحتويه كتبه ومقرراته ، يتخذ وسيلة للتشكيك في الدين ، مثل نظرية « النشوء والارتقاء » في الكائنات الحية ، التي تعرف بنظرية « التطور » لداروين وغيره . فلا بد من معرفة شيء عن مثل هذه النظرية ، وقيمتها من الناحية العلمية ، حتى يمكن للداعية اتخاذ موقف محدد منها ، بناء على دراسة صحيحة لا

على خيالات أو إشاعات . والحكم للشيء أو عليه فرع عن تصوّره .

٣ - أن من الحقائق العلمية ما يمكن الداعية استخدامه في تأييد الدين وتوضيح مفاهيمه ونصرة قضيّاه ، والذب عنه ، بدفع شبهات خصومه ومفتريات أعدائه . وذلك يبدو في عدّة صور ، منها :

(أ) تقرّيب بعض المعتقدات والحقائق الدينية من أفهّام أهل العصر وتّأييدها بمنطق العلم التجّريبي نفسه ، حتى أنّ أولى قضيّا الدين وكبراها ، وهي : إثبات وجود الله تعالى ، يستطيع هذا العلم أن يقوم فيها بدور بناء ، في مواجهة الماديين والملحدة ، فيقيّم الأدلة ويدحض الشبهات ، بوساطة فروعه العديدة من رياضيات وفلك وفيزياء وكيمياء ، وأحياء ، وطب وغيرها . كما رأينا ذلك في مثل كتاب أركريسي موريسون « الإنسان لا يقوم وحده » المترجم إلى العربية تحت عنوان « العلم يدعوا إلى الإيمان » وكتاب « الله يتجلّ في عصر العلم » لثلاثين عالماً أميريكياً معاصرأ - وكتاب « مع الله في السماء » للدكتور أحمد زكي .

ورأينا مفكّري المسلمين ينتفعون بذلك في نصرة العقائد الدينية كما في كتاب « قصة الإيمان بين الدين والعلم والفلسفة » للشيخ نديم الجسر - وكتاب « الإسلام يتحدى » للمفكّر الهندي وحيد الدين خان وقد جعل له مراجعه د . عبد الصبور شاهين عنواناً فرعياً هو « مدخل علمي للإيمان » .

لقد كان المشتغلون بالفلسفة والكلام قدّيماً يستبعدون - بل ينفون أن يرى الإنسان عمله في الآخرة بعد أن فرغ منه في الدنيا ، لأنّ الأعمال أعراض ، والعرض لا يبقى زمانين ، على هذا يؤولون مثل قوله تعالى « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم »<sup>(١)</sup> وقوله « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مخضرا وما عملت من سوء »<sup>(٢)</sup> . وما شابهها من آيات ، بأنّ المراد بالأعمال جزاؤها ، أي ليروا جزاء أعمالهم فجاء العلم الحديث يثبت أنّ أقوال الإنسان وأعماله كلها موجودة في الفضاء ، وأنّها يمكن أن تسجل وتصور وتبقى . ولو بعد حدوّتها بزمن طويّل ، وإن لم يوفق الإنسان لاختراع آلة تقوم بهذه المهمة حتى الآن .

ولكن العلم لا ينفي إمكانها . ومعنى هذا أن كلّ إنسان يمكن أن يواجه بقوله وعمله طيلة حياته في صورة « فيلم » تسجيلي ناطق ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وبهذا يرى عمله حقيقة لا مجازاً

(١) الزلزلة : ٦

٣٠ (٢) ال عمران

(ب) ويستطيع العلم بمكتشفاته ومقرراته أن يؤيد كثيراً من الأحكام الشرعية ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح للناس ، ودرء المفاسد عنهم ، وبذلك يزداد الدين آمناً إيماناً ، ويضعف جانب المرتدين والمشككين في كمال الشريعة الإسلامية ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

يستطيع علم الطب أن يعطينا صورة واضحة لما تجنبه «أم الخبائث» الخمر على شاربها ومدمنها من أضرار جسيمة على الأفراد ، وعلى الأسر ، وعلى المجتمعات ، مادياً ومعنوياً ، وبهذا تبين حكمة الإسلام في تحريم الخمر ، ولعن كل من شارك في صنعها أو الاتجار بها أو تقديمها من قريب أو بعيد .

ومثل ذلك المخدرات والتدخين وكل ما يعتاد الناس تناوله من مأكولات أو مشروبات أو مشموم أو غيره ، يضر متناوله عاجلاً أو آجلاً ، فضلاً عن الأضرار الأخلاقية والنفسية والاجتماعية الأخرى .

وكذلك ما يسببه انتشار الزنا من أمراض تنازلية وغيرها للرجال والنساء ، بالإضافة إلى آثاره السيئة على الأنساب والأخلاق والأسر والمجتمع كله . مما يؤكد معنى قوله تعالى «إنه كان فاحشة وساء سبيلاً»<sup>(٣)</sup> .

و يستطيع علوم الأحياء ، ووظائف الأعضاء والطب وغيرها ، أن تبين لنا حقيقة الفوارق الفطرية بين الذكر والأثني - وبعبارة أخرى بين الرجل والمرأة - وأن هذا التفاوت لم يكن عبئاً ، وأن تجاهله في التشريع والتربية والتعليم والتوجيه ، لا يعقب إلا أسوأ النتائج ، وأن من الخير لكتلا الجنسين ، وللجماعة كلها ، أن يكون لكل منها عمله اللائق به ، وثقافته الملائمة لوظيفته في الحياة وبهذا يتلاقى منطق العلم مع منطق الدين الذي هو منطق الفطرة السليمة .

وحسبي هنا أن أنقل الكلمات التالية عن رجل يعد من أقطاب العلم التجريبي في عصرنا وهو الدكتور «الكسيس كاريل» في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» يقول : «إن ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية ، وعن وجود الرحم والحمل ، أو عن اختلاف طريقة التربية . وإنما تنشأ عن سبب جد عميق ، وهو تأثر العضوية بكمالها بالمواد الكيماوية ومفرزات الغدد التناسلية . وإن جهل هذه الواقع الأساسية هو الذي جعل رواد الحركة النسائية يأخذون بالرأي القائل بأن كلا الجنسين الذكور والإناث يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة ، وأن يمارسوا أعمالاً متماثلة . والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافاً عميقاً عن الرجل ، فكل حجيرة في جسمها

---

(٣) الاسراء . ٣٢ .

تحمل طابع جنسها ، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية ولا سيما الجهاز العصبي - وإن القوانين العضوية - الفيزيولوجية - كقوانين العالم الفلكي لا سبيل إلى خرقها ، ومن المستحيل أن تستبدل بها الرغبات الإنسانية ، ونحن مضطرون لقبو لها كما هي . فالنساء يجب أن ينميّن استعداداتهن في اتجاه طبيعتهن الخاصة دون أن يحاولن تقليل الذكور ، فدورهن في تقدم المدنية أعلى من دور الرجال ، فلا ينبغي لهن أن يتخلّين عنه » .

وقال أيضًا :

« يغفل الناس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة إلى المرأة مع أن هذه الوظيفة ضرورة لكمال نوها ، ولذلك كان من الحمق والسطح صرف المرأة عن الأمومة فلا ينبغي أن يتلقى الفتيات والفتيا ثقافة واحدة ، ولا أن يكون لهم أسلوب واحد في الحياة ، ولا مثل أعلى واحد ، وعلى المريين أن يعتبروا الفروق الجسمية والعقلية بين الذكر والأثني ، وما بين دوريهما الطبيعيين ، فيبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول ، ومن الواجب اعتبارها في بناء العالم المتمدن » .

(ج) وثبتت مجال آخر يكتننا فيه استخدام حقائق العلم الحديث لتأييد حقائق الدين ، وذلك بعميق مدلولات بعض النصوص ، وتوسيع نطاق مفهومها ، وزيادة توضيحه بما كشف عنه العلم من مقررات ، وما توصل إليه من نتائج .

إذا قال القرآن عن النحل « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس »<sup>(٤)</sup> يستطيع عالم الأحياء أو الكيمياء أو الطب أو الأغذية ونحوها أن يحدثنا بسعة عن عسل النحل وألوانه ، وما فيه من شفاء ، وفيما يكون وكيف يكون .

إذا قال الله تعالى: « إنا كل شيء خلقناه بقدر »<sup>(٥)</sup> أو « وخلق كل شيء بقدرته تقديرًا »<sup>(٦)</sup> أمكن للعلم هنا بشتى فروعه أن يفيض في بيان دقة العدير في كل ما خلق الله في الكون ، فحجم الكرة الأرضية وبعدها عن الشمس مسافة محددة ودورانها حول نفسها بسرعة معينة ، وبعد القمر عنها بمسافة محددة كذلك ، واستناداً على كمية المياه في بحارها ومحيطاتها بهذا المقدار ، ووجود الغازات فيها بسبب ومقادير معلومة ، وغيرها وغيرها . كل ذلك يدل على روعة التقدير الإلهي وعظمته وشموله لكل ما في الكون من مخلوقات ، وبهذا يعمق العلم في عقولنا وقلوبنا معنى النص القرآني - فنزيداد به هدى وبيينا .

---

(٤) النحل : ٦٩ (٥) القمر : ٤٩ . (٦) المرقار . ٢

وإذا قال تعالى «والذى قدر فهدى»<sup>(٧)</sup> أو «الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى»<sup>(٨)</sup> يستطيع العلم هنا كذلك أن يبين لنا سعة آفاق الهدایة الإلهیة الموثوقة في الكون ، علویه وسفليه ، إنسانه وحيوانه ، ونباته ومجاده ، كل شيء فيه هدى لغايته ، ويسر لما خلق له ، ومنح ما يساعدته على ذلك من سنن الله وقوانين الكون . نجد ذلك في أضخم ما في الكون ، إلى أصغر ما فيه ، من المجرة إلى الذرة .

(د) و مجال رابع يدخل فيه العلم ويصل ويحول ، وهو بيان سبق القرآن بكثير من الحقائق التي كشف عنها العلم الحديث ، وهو ما أشرنا إليه ونحن نتحدث عن «الإعجاز العلمي للقرآن» .

وقد عنى كثيرون في عصرنا بهذا الميدان ، إلى حد الإفراط والتجاوز في بعض الأحيان ، وجل هؤلاء من رجال العلم المتحمسين للدين ، كما رفضه آخرون بالكلية ، واستخدمه آخرون بتحفظ واعتدال ، وهذا ما أراه . وأعني بالاعتدال ، ألا تتعسف في التأويل ، ولا تخرج الألفاظ والトラكيب عن مدلولاتها اللغوية ، ولا تحمل النصوص على فروض ونظريات لم تصبح حقائق علمية .

ومن استخدمو العلم في هذا الجانب العلامة الشيخ رشيد رحمة الله في تفسير «المنار» وفي بعض كتبه كالوحى الحمدى حيث يتحدث فيه عن معجزات القرآن الفلكية والطبيعية ونحوها فيقول : «وأما إخبار القرآن عن عالم الغيب المادي من تكوين وتاريخ ، فمن معجزاته الإيجابية أنه جاء فيه كثير من التعبيرات التي كشف العلم والتاريخ في القرون الأخيرة من معانها ما لم يخطر في بال أحد من أهل العصر الذي نزل فيه ، ومن معجزاته السلبية أنه لم يثبت على تواли القرون بعد نزوله شيء قطعي ينقض شيئاً من أخباره «القطعية» على أن أخباره هذه إنما جاءت لأجل الموعظة والعبرة والتهذيب ، ويكتفى في مثل هذا أن تكون الأخبار على المأثور عن الناس ، ولا ينتقد عليها إذا لم تشرح الحقائق الفنية والواقع التاريخية لأنها ليست مما يبعث الرسل لبيانه ، ومنها ما لا يمكن الوقوف عليه إلا بالتعمعق في العلم أو الاستعانة بالآلات التي لم تكن معروفة عند المخاطبين الأولين بالوحى ، بل لا يصح أن يأتي فيها ما يجزمون بإنكاره بحسب حالتهم العلمية ، لثلا يكون فتنة لهم ، ولقد قال نبى الإنسانية العام : «أنت أعلم بأمور دنياكم» رواه مسلم في صحيحه .

ومن دقائق تعبير القرآن في النوع الأول - التكوين - التي اختلفت في فهمها الناس .. أن مادة الخلق «دخان» وهو عين ما يسمى السديم ، وأن السموات والأرض كانتا

. ٥٠ .

(٧) الأعلى : ٣

رتقاً ، أي مادة واحدة متصلة ، ففتقها الله وجعل كلاً منها خلقاً مستقلاً وبث فيها أنواع الدواب ، ولم يكن أحد يعتقد أو يتصور أن في شيء من هذه الأجرام السماوية حيواناً ، وأنه جعل من الماء كل شيء حي ، وأنه خلق جميع الأحياء النباتية والحيوانية أزواجاً ، فجعل في كل منها ذكراً وأنثى وأنه جعل كل نبات موزوناً يعني أن عناصره متوازنة على نسب مقدرة ، وأنه أرسل الرياح لواقع ، وأنه « يكور الليل على النهار ويكون النهار على الليل »<sup>(٩)</sup> والتوكير هو اللف على الجسم المستدير وهو صريح في كروية الأرض ودورانها اللذين كانا موضوع الجدال والتضليل بين العلماء إلى عهد قريب بعد الإسلام .

وأمثال هذا فيه كثيرة ، حتى أن بعض آياته في الشمس والقمر والنجوم وسبحها في أفلاكها وجريانها إلى أجل مسمى ، وفي تناول الكواكب عند خراب العالم لا تفهم فهما صحيحاً إلا في ضوء علم الفلك الحديث .

وأعجب منه اثباته أن للخلق سننا لا تتبدل وبيانه لكثير منها ، ومنها سنن الاجتماع التي لم يهتد البشر إليها بالبحث العلمي إلا بعد بيان القرآن لها بقرون . ١٠هـ .

إن الداعية الذي يحسن استخدام حقائق العلم في المجالات التي ذكرناها يجد طريقه إلى أذهان الناس وعواطفهم سهلاً معبداً ، ويقع كلامه من نفس المثقفين العصريين موقع القبول وحسن التأثير ، ولعل هذا من أظهر الأسباب وراء نجاح بعض الدعاة المرموقين في عالمنا العربي اليوم .

\* \* \*

(٩) الزمر : ٥

(١٠) الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ط المختصر الإسلامي .

## الثقافة الواقعية

ومن أهم ما يلزم الداعية التسلح به من ألوان الثقافة بعد ما تقدم : ما سميته « الثقافة الواقعية » ومعنى بها : الثقافة المستمدّة من واقع الحياة الحاضرة ، وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن ، في داخل العالم الإسلامي وفي خارجه ، فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصل العلوم الإسلامية وجال في مراجع الأدب واللغة والتاريخ ، وأنحد بحظه من العلوم الإنسانية ومن العلوم التجريبية ، ولكنه مع هذا كله لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه ، وما يقوم عليه من نظم ، وما يسوده من مذاهب ، وما يحركه من عوامل ، وما يصطدّر فيه من قوى ، وما يجري فيه من تيارات ، وما يعاني أهله من متابع ، وبخاصة وطنه الإسلامي الكبير من المحيط إلى المحيط ، بالآلام وأماله ، وأفراحه وماسيه ، ومصادر قوته ، وعوامل ضعفه ، وبعد ذلك وطنه الصغير وبنته المحلية وما يسودها من أوضاع وتقاليد ، وما تقاسيه من صراعات ومشكلات ، وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار .

إن الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوه ، حتى يعرف كيف يدعوه ، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر . ولهذا حين بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنهم أطاعوا لذلك فأعلّمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإنهم أطاعوا لذلك فأعلّمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغانيائهم وترد على فقرائهم » .

ومعنى هذا أنهم لو كانوا مجوساً أو ملحدة أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى .

ومن هنا يجب على الداعية في عصرنا أن يدرس :

### ١ - واقع العالم الإسلامي :

بمعرفة خلاصة مركزة عن أوضاعه الجغرافية والاقتصادية والسياسية وتوزيع سكانه وأسباب تخلّفه وتفرقه ، وعوامل تقدمه ووحدته ، وإمكانات تكامله اقتصادياً وتصالحاً

سياسيًّا وعسكرياً ، فضلاً عن تقاربه اجتماعياً وثقافياً .  
أضواه على فكرة « الجامعه الإسلامية » أو « الكتلة الإسلامية » أو « التضامن الإسلامي » باعتباره خطوة في طريق « الخلافة الإسلامية »  
مشكلات الأقليات والأكثريات الإسلامية المضطهدة : في الفلبين ، في قبرص ، في ارتيريا ، في الحبشة ، في الاتحاد السوفيتي ، في أوروبا الشرقية ، في ألبانيا ، في يوغوسلافيا ، في الصين ، في الهند .

## ٢ - واقع القوى العالمية المعادية للإسلام :

وتتمثل في المثلث الرهيب : اليهودية العالمية ، والصلبيّة العالمية ، والشيوعية الدوليّة ، وهي قد تختلف فيها بينها ، لكنها متفقة علينا .

لابد من دراسة الأسباب والدوافع وراء كيدها لنا : الحقد ، الطمع ، الخوف ، الاستعلاء ... الخ . وسائلها في حربنا : الحرب السياسية ، الحرب الاقتصادية ، الحرب الفكرية ... خطورة هذه الحرب الأخيرة وأساليبها وأجهزتها : التبشير ، مؤسساته وإمكاناته الهائلة الغارة النصرانية على العالم الإسلامي . الصراع بين الإسلام والتبشير في إفريقيا . التخطيط لتنصير إندونيسية أكبر بلد إسلامي ، محاولات التنصير في العالم العربي ، الفشل وتهجير الخطة . التعاون بين التبشير والاستعمار ، وكذلك بين التبشير والشيوعية أخيراً . الاستشراق : أهدافه ووسائله . إسهامه في إحياء التراث . كتابات المستشرقين عن الإسلام ومدى علميتها ، المنصفون والمحاملون من المستشرقين ، سموم الفكر الاستشراقي وأثارها في عالمنا العربي الإسلامي . تلاميذ المستشرقين .

الغزو الشيوعي : عن طريق الخبراء والمساعدات والمؤسسات الثقافية ، والبعثات التعليمية والتدريبية إلى البلاد الشيوعية - وتأييد الأحزاب الشيوعية في الداخل بالتمويل والتوجيه .

المؤسسات المشبوهة : الماسونية وما تفرع عنها : خطرها وأساليبها الماكنة ، وتغلغلها في الطبقات الأرستقراطية .. نوادي الروتاري .

الغزو من الداخل : عن طريق العملاء وعيادة الفكر الغربي ، والأحزاب الموالية من ليبالية ويسارية ، احتضان الفرق المنشقة على الإسلام كالبهائية والقاديانية .. تأسد الحكم العلمانيين ... الخ .

وبينبغي هنا التنبيه على أمرتين :

١ - عدم التهويل أو التهويين من شأن القوى المعادية وخططاتها ، حتى لا يؤدي ذلك إلى اليأس من مقاومتها أو الاستهانة بها .

٢ - الاستفادة من الصراع القائم بينها بذكاء ، واستغلال الفرص المناسبة لذلك ، كالصراع بين روسيا والصين ، وقد كان السلف يقولون : اللهم اشغل الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين .

### ٣ - واقع الأديان المعاصرة .

اليهودية : توارتها المحرفة ، وتلמודها الرهيب ، ونظرته إلى الأعبيين وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية وقيام إسرائيل .

المسيحية : طوائفها وكنائسها المختلفة ، وما بينها من صراع ، محاولات التقارب بين بعضها وبعض ، محاولات تقربها من اليهودية ، وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح . محاولات ما يسمى « التقارب الإسلامي المسيحي » وقيمتها .

أديان الشرق الأقصى الكبرى ، مثل :

الهندوكتية الوثنية : عقائدها وطوائفها ، موقفها من المسلمين .

البوذية : ومدى انتشارها في بلاد الشرق الأقصى ، وأثرها في حياة أتباعها .

### ٤ - واقع المذاهب السياسية المعاصرة :

من شيوعية ورأسمالية واشتراكية وديمقراطية ودكتatorية ، وتعدد مدارسها واختلاف تطبيقاتها .

نرى ذلك في النظرية الشيوعية الماركسيه ، ومدى اختلافها في تطبيق « لينين » وخلفائه في روسيا عن تطبيق « ماو » في الصين بل ما بين « ستالين » ومن بعده « خوشوف » إلى « بريجنيف » . عجز الشيوعية عن تحقيق فلسفتها الخيالية في مساواة الدخول ، وزوال الدولة .. الخ .

الشيوعية في حزاب أوروبا الغربية : تخلى بعض زعمائها عن بعض المفاهيم الأساسية للماركسيه كنظرية الصراع الطبقي ، موقف الشيوعية من الأديان عامة والإسلام خاصة . موقفها من القيم الأخلاقية ، موقفها من الحريات .

الرأسمالية المعاصرة : ومدى مغاييرتها للرأسمالية في بداية نشأتها . الرأسمالية في أمريكا وأوروبا واليابان . آثار الرأسمالية الآن و موقفها من الدين الرأسمالية علمانية -

معنى قيام احزاب ديمقراطية مسيحية في أوروبا .

الاشتراكية : وكثرة مدارسها واختلاف ما بينها ، من إصلاحية إلى علمية ، الجامع بين الاشتراكيات المختلفة ، فرق ما بين الاشتراكية والشيوعية . الاشتراكية والدين معنى قيام احزاب اشتراكية مسيحية في أوروبا .

الديمقراطية : معناها وأنواعها . ادعاء الشيوعيين والرأسماليين والاشتراكيين لها . ديمقراطية الصراع السياسي ، أو الاجتماع السياسي ، أو التحالف السياسي . أزمة الديموقراطية في العالم .

الدكتاتورية : معناها ، وأنواعها . دكتاتورية الطبقة ، دكتاتورية الحزب ، دكتاتورية الزعيم ، التجربة الفاشية والنازية . الدكتاتورية في عالمنا اليوم .

موقف الإسلام من هذه المذاهب - الإسلام نسيج وحده . ما وافق الإسلام منها في شيء خالقه في أشياء . تميز الإسلام عنها في غياباته ووسائله - خطأ اضيافه الإسلام إلى مذهب منها .. استغناه أمتنا بما عندها عن استيراد مذهب أجنبي عنها .. جنائية الحالول المستوردة على أمتنا . حتمية الحل الإسلامي .

#### ٥ - واقع الحركات الإسلامية المعاصرة :

الحركات الإقليمية - الحركات العالمية - الحركات الجزئية - الحركات الشاملة .

أهم هذه الحركات في العالم الإسلامي : حركة الجماعة الإسلامية في باكستان والهند - حزب ماشومي في إندونيسية - الحركة الإسلامية في تركيا .. حزب التحرير في الأردن وفلسطين - الإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي وهي كبرى الحركات الإسلامية الحديثة .

الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي : مؤسساتها ووسائلها : المساجد ورسالتها وما ينقصها ، وما يمكن أن تقوم به - مؤتمر رسالة المسجد - المجالات الإسلامية ودورها - الكتب الإسلامية .

الدعاة المرشدون : المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة - توصياته ودراساته .

أهمية الجامعات والمعاهد الإسلامية ووظيفتها .

دور وزارات الأوقاف والشئون الإسلامية .

الدعوة الإسلامية في خارج العالم الإسلامي : في آسيا وإفريقيا .. في أوروبا

وأمريكا . المراكز الإسلامية .. والجمعيات الإسلامية .. الاتحادات الطلابية .. المدارس الإسلامية . أهمية التنسيق والترابط بين هذه المؤسسات .. الخذر من مؤامرات القوى المعادية عليها . وجوب معاونتها من داخل العالم الإسلامي مادياً وأدبياً .

دور الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي وغيرها من المؤسسات في نشر الدعوة ومساعدة دعاتها .. تحذير الحكومات من التدخل في توجيه هذه المؤسسات لخدمة السياسات المحلية .

#### ٦ - واقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام :

ونعني بها التيارات الموجودة داخل العالم الإسلامي مثل :

التيار اليساري أو الماركسي ، وهو تيار مادي الفكر ، موالي للمعسكر الشيوعي .  
التيار الليبرالي ، الموالي للمعسكر الغربي ، ويمثله كتاب وصحف وأحزاب . وهو تيار علماني .

التيار القومي ، القومية العربية ، أو الطورانية أو الفارسية ونحوها - وهو تيار علماني أيضاً ينادي بفصل الدين عن الدولة .

#### ٧ - واقع الفرق المنشقة على الإسلام :

وأبرزها وأخطرها : البهائية والقاديانية .

أما الأولى فهي دين جديد مخالف للإسلام كل المخالفة ، ولا يزعم دعاتها أنفسهم أنها من الإسلام ، وإن نشأت أول ما نشأت في أرض الإسلام .

وأما الثانية فهي فرقة مارقة تدعي نبوة جديدة بعد أن ختمها محمد صلوات الله عليه . وهذه تحاول جاهدة أن تنتصق بالإسلام وأمة الإسلام . وكلتا هما تحظى بمساندة القوى المعادية للإسلام .

#### ٨ - واقع البيئة المحلية :

فكل داعية عليه أن يدرس البيئة التي يعيش فيها ويعرف أوضاعها ، وتقاليدها ، ويتعمق في فهم مشكلاتها ونفسيات أهلها وما يؤثر فيها ، كما عليه أن يعرف لغتهم ليكلمهم بلسانهم « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »<sup>(١١)</sup> .

---

(١١) إبراهيم : ٤ .

ولهذا نرى معرفة اللغات الحية - أو لغة منها على الأقل - ضرورة للداعية في عصرنا .

هذه معالم سريعة لما ينبغي أن تقوم عليه ثقافة الواقع ، ولا يخفى أن هذه الثقافة لا تستمد من الكتب وحدها ، فهي ثقافة نامية متتجدد مستمرة ، يمكن الداعية أن يجد لها في الصحف والمجلات والدوريات والنشرات الرسمية وغير الرسمية .

والداعية ذو العقل اليقظ ، والحس المرهف يستطيع أن يأخذ مددًا جديداً من كل ما حوله من وقائع الحياة اليومية ، من أخبار الصحف ووكالات الأنباء ، وتعليقات المعلقين ، ويمكنه أن يعد لذلك سجلًا أو أرشيفاً ، يدون فيه ما يهمه من هذه الواقع والأخبار ، ويصنفها ويضعها عند الحاجة في مكانها ، فإن أحداث اليوم هي تاريخ الغد ، الذي يدرسه الدارسون ويحمله الناقدون .

على أن هذه الأخبار والأحداث مزية على الأحداث والأخبار الماضية ، وهو جدتها وحضورها في الأذهان ، وهذا يكون لها أبلغ الواقع والتأثير .

بل يستطيع الداعية أن يتلقى معلوماته عن الواقع من مصادره الحية المباشرة ، بلقاء الناس ومخالطتهم ومشاهدتهم أحوالهم ، والاستماع إلى أحاديثهم ، في الحضر والسفر ، فإن السفر نصف العلم ، وهذا كان علماؤنا الأولون أكثر الناس ترحالاً في طلب العلم من أهله في مواطنهم . وقد قال الشاعر العربي :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما

قد حدثوك ، فما رأي كمن سمعا  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

# محتويات الكتاب

## الصفحة

٣	مقدمة
٧	الثقافة الإسلامية
٨	القرآن الكريم وتفسيره
٩	خصائص القرآن
٩	١ - كلام الله
١٠	٢ - التسyer
١١	٣ - الإعجاز
١١	(أ) الإعجاز البيان
١٢	(ب) الإعجاز الموضوعي
١٢	(ج) الإعجاز العلمي
١٣	٤ - الخلود
١٣	٥ - الشمول
١٧	تنبيهات للداعية في المجال القرآني
١٧	جمع الآيات في الموضوع الواحد وتصنيفها
٢٠	العناية بالقصص القرآني
٢٢	العناية بالنمادج القرآنية
٢٥	حسن الاستدلال بآيات القرآن
٢٧	الخذر والتحذير من سوء التأويل وتحريف الكلم عن موضعه
٣٠	علوم القرآن
٣١	تفسير القرآن
٣٢	وصايا لقارئ كتب التفسير
٣٢	١ - الاهتمام بباب التفسير
٣٤	٢ - الإعراض عن الإسرائيليات
٣٩	٣ - الخذر من الروايات الموضوعة والضعيفة
٤٢	٤ - الخذر من الأقوال الضعيفة والأراء الفاسدة
١٢٥	

## الصفحة

٤٤	السنة النبوية .....
٤٨	تنبيهات للداعية في مجال السنة .....
٤٨	الاهتمام بالسيرة النبوية .....
٥٠	جمع الأحاديث في الموضوع الواحد وتصنيفها .....
٥١	قيمة النية في الاسلام .....
٥٤	الحذر من وضع الأحاديث في غير موضعها .....
٥٩	مقاومة حملة التشكيك في الأحاديث الصحاح .....
٦٠	تجنب الأحاديث المشكلة على جمهور الناس لغير ضرورة .....
٦٢	الحذر من الأحاديث الم موضوعة والواهية .....
٦٦	من أين تتسرب الأحاديث الضعيفة للدعاة .....
٦٩	<b>الفقه</b> .....
٧٢	محذورات ينبغي التنبه لها .....
٧٢	المبالغة في تعلييل العبادات .....
٧٢	التعليق بأمر غير جامع ولا مانع .....
٧٦	الاقتصار على التعلييلات المادية .....
٧٩	علم أصول الفقه .....
٧٩	علم العقيدة .....
٨١	<b>التصوف</b> .....
٨٣	<b>النظام الاسلامي</b> .....
٨٨	الثقافة التاريخية .....
٩٠	تنبيهات للدعاة في المجال التاريخي .....
٩٣	تحذيرات للدعاة في المجال التاريخي .....
٩٨	الثقافة الأدبية واللغوية .....
١٠٤	<b>الثقافة الانسانية</b> .....
١٠٤	تنبيهات لدارس العلوم الانسانية .....
١٠٥	علم النفس .....
١٠٨	علم الاجتماع .....
١٠٩	الفلسفة .....
١١١	علم الأخلاق .....
١١١	علم التربية .....
١١٣	الثقافة العلمية .....

## الصفحة

١١٩ .....	الثقافة الواقعية .....
١١٩ .....	١ - واقع العالم الاسلامي .....
١٢٠ .....	٢ - واقع القوى العالمية المعادية للإسلام .....
١٢١ .....	٣ - واقع الأديان المعاصرة .....
١٢١ .....	٤ - واقع المذاهب السياسية المعاصرة .....
١٢٢ .....	٥ - واقع الحركات الإسلامية المعاصرة .....
١٢٣ .....	٦ - واقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام .....
١٢٣ .....	٧ - واقع الفرق المنشقة على الاسلام .....
١٢٣ .....	٨ - واقع البيئة المحلية .....
١٢٥ .....	محتويات الكتاب .....

\* \* \*

11

**To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)**